

الفكرة الحرة

مجلة ثقافية تصدر عن الفدرالية الوطنية للفكر الحر (فرنسا) - إصدار ربيع ٢٠٢٣

مجلد
دجلة والفرات

في عام ٢٠٢٠، دجلة، والموصل في الخلفية

٣	تقديم للنسخة العربية : كلود سنجر Claude Singer
٦	دجلة والفرات كريستيان إيشين Michel Godicheau
٧	من هلال خصيب الى هلال نضيب راجي سعد Raji Saad
١٤	علم الآثار، الدين والإمبريالية ميشيل غوديشو MICHEL GODICHEAU
١٧	الامير عبد القادر في دمشق دومينيك غوسو Dominique Goussot
٢٢	مقابلة مع بهار كيميونغور
٣٦	الانتخابات في لبنان عام ٢٠٢٢ كريم حيدر Karim Haidar
٣١	انطون سعادة والقومية الاجتماعية اسامه المنطار Oussama El-Montar
٣٦	الاكرد ودورهم في التاريخ الحديث جورج سعد Georges Saad
٤٢	الفكر السياسي وعلاقته بالدين كريستيان أيشن Christian Eyschen
٤٧	أرض اسرائيل متبوعا بـ مسار اليهود المعادين للصهيونية في فرنسا بيار ستامبول PIERRE STAMBUL
٥٢	كلمة في قراءة مثل الرغبة التي لا تريد أن تموت

صورة الغلاف: نهر دجلة والفرات في الخلفية
© Mathias Depardon

الفكرة الحرة

REVUE DE LA LIBRE Pensee, FONDÉE EN
1911 PAR ANDRÉ LORULOT
COMMISSION PARITAIRE N°0122 G 85988
TÉLÉPHONE 01 46 34 21 50
EMAIL IDEE.LIBRE@FNL.P.FR
ISSN 0996-1569

مدير
جان سيباستيان بيبير

رئيس تحرير
كلود سنجر

مساعد محرر
فيليب بيسون

لجنة الصياغة

جوزيه أرياس، جورج دوسبيس، ميشال أليار، بيبير جيرو،
ميشال غوديشو، دومينيك غوسو، فرانسوا غرانداشي (١٩١٧-١٩٣٩)،
هنري هويل، فابيان جينير، رينيه لابروجير (١٩١٥ - ٢٠٠٦)، ميشال
لاندرن، كاترين لوفور، ميشال لونورمان،
مايكل لينورماند، مارك بريفتوتل (١٩٣٣ - ٢٠١٠)، (بيبير رو، جان مارك
شيبا، ميشال سينجر، شانتال فاسي.

الترجمة للغة العربية جورج سعد
تصميم جرافيك النسخة العربية نيفين كروازيه

تقديم للنسخة العربية

كلود سنجر Claude Singer



عندما يتعلق الأمر بالشرق الأوسط ففي الغرب كل الجمل والأحكام الأخلاقية حول الاقتصاد المستدام والحفاظ على الأنواع تبدو منسية. منذ نشر هذا العدد بالفرنسية من مجلة *Idée Libre*، استمرت الحرب في اليمن، واستمرت الحرب ضد الشعب الفلسطيني، وفي لبنان يستمر الانهيار الكبير، وعلى الجانب الآخر من البحر الأحمر، أصبح السودان الآن مهدداً بمصير الصومال. ثم كان هناك هذان الزلزالان المروعان اللذان زادا من حالة الفوضى. لكن هذا العدد المنشور بالعربية يود أيضاً أن يلفت الانتباه إلى جانب آخر من جوانب الواقع، ألا وهي الأحداث التاريخية أو الجارية التي تلقي الضوء على الحاضر، واقع الرجال والنساء الذين يعيشون في بغداد وبيروت ودمشق وأيضاً في مونتريال وتولوز، حيث يعيشون ويكتبون ويتبادلون ويقاثلون ويضعون الخطط. دور مجلة الفكرة الحرة هو هنا للمساعدة، الفكرة المجانية موجود للمساعدة: بتواضع ولكن بواقعية.

كلود سنجر Claude Singer

رئيس تحرير مجلة الفكرة الحرة

نُشرت النسخة الفرنسية من هذا العدد ٣٤٠ من *Idée Libre* (وهي المجلة الفصلية لجمعية الفكر الحر منذ العام ١٩١١) في آذار / مارس ٢٠٢٣. هذا العدد ليس المحاولة الأولى، لأننا نشرنا بالفعل عدداً باللغة العربية عن "إسرائيل / فلسطين" و آخر عن الجزائر. ومع ذلك، ربما تكون هذه الطبعة فريدة من نوعها من حيث أنها تقترح ليس فقط الإعلام، ولكن التفكير من أجل المساعدة على التقدم. هذه المنطقة، التي أصبحت اليوم بؤرة حروب متعددة ومتعمدة، كانت منذ آلاف السنين بؤرة تطور التاريخ البشري (الكتابة، الزراعة، بدايات تكوين المدن والدول) تحت الاسم الذي أطلق عليها: الهلال الخصيب. ميشيل غوديشو هو الذي أدار أشرف على هذا العدد.

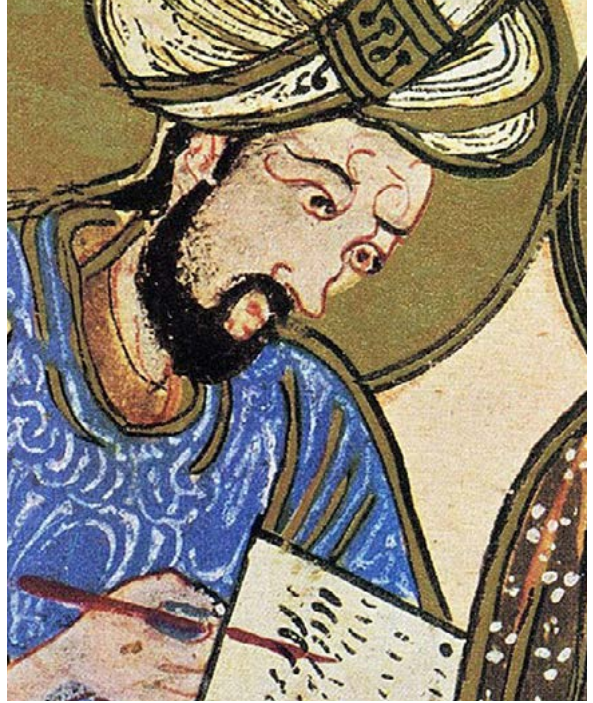
المساهمون في هذا العدد، هم غالباً من المتجذرين في المنطقة التي يتحدثون عنها، ومنهم من يكتب للمرة الأولى في مجلتنا: نشكرهم بحرارة على عملهم وخبراتهم.

في هذا الفضاء الغني بالإنسانية والتاريخ والحضارات، حيث اختفت أرواح الملايين تحت القصف، ومئات الآلاف من الأشخاص الآخرين مهددون بأزمة المياه والانهييارات الداخلية والمشاريع الجهنمية التي تسببت بكارث لا تحمد عقباه.



مجلد

دجلة والفرات



دجلة والفرات



بين عامي ٢٣٤٠ و ٢١٥٠ تقريباً، قام سرجون الأكبر وخلفاؤه بتجميع أول وأكبر إمبراطورية في بلاد ما بين النهرين وقد "وحدت هذه في كتلة واحدة كامل أراضي ما بين البحار، من الخليج الفارسي إلى البحر الأبيض المتوسط."

وهناك تم اختراع الكتابة، والتي بدورها حققت تقدماً كبيراً في التفكير البشري قبل أكثر من ٢٥٠٠ عام من اختراع يوليوس قيصر للتقويم الذي سوف يصبح التقويم الغربي.

لقد حدد الكتاب المقدس "الجنة الأرضية" هناك: هذا البلد الذي دمرته اليوم الحروب المستوردة أو المحرض عليها غير معروف إلى حد كبير في الغرب.

إن المؤلفين الذين جمعهم هذا العدد من "الفكرة الحرة" يشتركون في حرية الفكر، وهذا بدوره ينتج مبادرات واجتماعات ومواجهة لوجهات نظر مختلفة. لم يتمكن المفكرون الأحرار في المنطقة من المشاركة في الحركة التي أدت إلى إنشاء الجمعية العالمية للفكر الحر في أوسلو عام ٢٠١١. لكن فكرة هذه القضية ولدت من تلك الحركة، وقد أصبح هذا العمل ممكناً بسبب العطش الشديد من أجل الحرية الذي يدفع المؤلفين إلى المشاركة، مما يدل من خلال تحليلاتهم على تنوع وثراء التجارب التي يبلغون عنها أو التي هم فاعلون فيها. لقد قصفت الإمبريالية "الجنة الأرضية"، واليوم يهاجم الصهاينة قوافل الجنازات، والغرب يجد حلفاء له في دول الخليج وحتى المغرب العربي لمواصلة الدمار والاستغلال. كان على الفكرة الحرة أن تنير طريقاً آخر.

ميشيل غوديشو

Michel Godicheau

ملحوظة: الترجمات والتعديلات للنصوص باللغة الإنجليزية في البداية تعود إلى بيار غيغين Pierre Gueguen، الذي نشره بحرارة هنا.

1].Bottero, Mésopotamie - L'écriture, la raison et les dieux. Folio histoire p 305.

2 A une notable exception près ! Voir l'article de Georges Saad.

من هلال خصب الى هلال نضيب

راجي سعد Raji Saad



ينبع نهري دجلة والفرات من أعالي جبال طوروس^(١)، الفاصل الطبيعي بين مجتمعي بلاد ما بين النهرين وبلاد الأناضول، ويتحدرا باتجاه سوريا والعراق باعثن الحياة والخصب فيهما ومانعين التصحر عنهما، ثم يلتقيان في شط العرب كأنهما يهتنان بعضهما على بعث الخير والجمال بشعب أجداد استعمالهما خلقا وابداعاً وحضارة.

تكون الفرات بعد أن يلتقي نهري فره صو ومراد صو في حوض ملاطية. يبلغ طول النهر ٢٣٣٠ كلم، يسير منها حوالي ٤٤٢ كلم حتى يصل الى الحدود السورية الحالية. تقدر طاقة النهر بحوالي ٣١,٧ مليار م^٣ ينبع ٩٥٪ منها من جبال طوروس و ٥٪ من روافد في سوريا (جدول-١) أهمها نهر الخابور. أما نهر دجلة فمساره أقصر من الفرات ويبلغ ١٩٠٠ كلم (منها ٤٠٠ كلم داخل تركيا) لكن طاقته المائية أكبر لكثرة روافده (الزاب الأكبر، الزاب الأصغر، العظيم، ديالة) وتصل الى ٤٩ مليار م^٣. مصادر مياه دجلة هي ٥٨٪ من جبال طوروس و ١٢٪ من جبال زغروس اللذان يقعان تحت السيطرة التركية والايرانية، و ٣٠٪ من روافد في شمال شرق العراق (جدول-١). إذا نظرنا لدجلة والفرات والروافد كمنظومة مائية واحدة فمصادر المياه موزعة بنسبة ٧٢٪ في تركيا و ٧,٤٪ في إيران و ٢٠,٦٪ في سوريا والعراق.

”الصيف الجاف“ فيلم تركي أنتج في العام ١٩٦٤ ودارت أحداثه بين آغا تنبع المياه من ارضه ومزارعين تمر المياه في أراضيهم^(٢). زاد طمع الآغا في المياه فادعى ملكيتها وقطع معظمها عن المزارعين، فادى ذلك إلى نشوب صراع بينهما كانت نتيجته مقتل الآغا وأحد المزارعين. هذا الفيلم بدأت أحداثه تتكرر اليوم بين دولة المصدر تركيا التي ينبع نهري دجلة والفرات من ضمن حدودها الحالية وبين سوريا والعراق اللذين يمر النهران في أراضيهم.

مصادر مياه الفرات ودجلة (بمليار م ^٣)					
جدول ١-	تركيا	سوريا	العراق	ايران	المجموع
الفرات	٣٠,٠				٣٠,٠
روافد الفرات		١,٧			١,٧
مجموع الفرات وروافده	٣٠,٠	١,٧			٣١,٧
نسبة (%) الفرات وروافده	٩٥٪	٥٪			١٠٠٪
دجلة	٢٠,٥				٢٠,٥
روافد دجلة	٧,٧		١٥,٠	٦,٠	٢٨,٧
مجموع دجلة وروافده	٢٨,٢		١٥,٠	٦,٠	٤٩,٢
نسبة (%) دجلة وروافده	٥٨٪		٣٠٪	١٢٪	١٠٠٪

المصدر : Kolars, 1994 : (3)

بـ (٣١) مليار دولار أمريكي، وستحتاج الى حوالي ١٧ مليار م^٣ من مياه الفرات و٨ مليار م^٣ من مياه دجلة^(٦) وستسبب نقصاً حاداً في دول المصب وخاصة العراق.

أهم هذه المشاريع التي شملها مشروع "غاب" هو سد اتاتورك على الفرات الذي يعتبر خامس أكبر سد في العالم، والذي انتهى العمل فيه في العام ١٩٩٠، ويروي ٨٧٢,٤ ألف هكتار ويولد ٢٤٠٠ ميغاوات من الطاقة في تركيا. المشروع الآخر المهم هو منظومة سدي أليسو وجزرة على دجلة الذي يخزن ١٠,٤ مليار م^٣ لتوليد ١٢٠٠ ميغاوات من الطاقة والذي سيروي ١٢١,٠٠٠ هكتار من الأراضي الحدودية التركية بكلفة \$١,٦٨ مليار. بدأ العمل بهذا المشروع في العام ٢٠٠٦ لكنه توقف في كانون الاول ٢٠٠٨ بعد اعتراض الجمعيات البيئية والاجتماعية وضغطها على حكوماتها الألمانية والنمساوية والسويسرية التي ألغت في تموز ٢٠٠٩ الضمانات لتمويل المشروع. أهم أسباب الالغاء هو تسبب بحيرة السد بفيضان قرية حسن كييف الاثرية واجبار ١٠٠٠٠ من السكان المحليين على هجرة منازلهم^(٧). رغم وقف التمويل الخارجي، أصرت تركيا على اكمال المشروع وانتهى العمل بالمشروع في تموز ٢٠١٩ ووصل التخزين الى ١٠ مليار م^٣ في السنين الماضية. أمام هذا الواقع أصبحت تركيا مسيطرة على أعظم مصدري مياه للمشرق السوري-العراقي ومؤهلة لبسط نفوذها الاقتصادي والسياسي على المنطقة.

معدل تدفق المياه موسمي ويختلف من شهر الى شهر. بعد فصل الشتاء تذوب الثلوج من أعالي جبال طوروس وزغروس وتنحدر مياهها بغزارة الى دجلة والفرات والروافد بين شهري آذار وأيار، ومن ثم تشح تدريجياً حتى شهر تشرين الأول قبل البدء بالتصاعد ثانية^(٨). هذا التدفق الموسمي جعل دول النهر تبني السدود لتخزين المياه واستعمالها للري في موسمي الصيف والخريف الزراعيين وتوليد الكهرباء.

المشاريع التركية:

فكرة استغلال مياه دجلة والفرات بدأت منذ أيام اتاتورك في العشرينات من القرن الماضي بعد ان رسمت معاهدة لوزان في ١٩٢٣ الحدود السورية-العراقية مع تركيا وإيران جنوب جبال طوروس بدل أعالي هذا الجبال، كما ترسم الحدود الدولية عادة، مما أفقد سوريا والعراق السيطرة على دجلة والفرات والزباب الأكبر، أحد الروافد، وأصبحت تحت رحمة تركيا وإلى حد ما إيران. في ١٩٣٦ نضجت فكرة استغلال النهرين في تركيا بعد تأسيس ادارة الدراسات الكهربائية التي قدمت دراسة سد كيبان الذي نفذ في العام ١٩٧٤ على الفرات. هذه الدراسة تبعتها دراسات أوسع وأشمل بعد تأسيس "مشروع جنوب شرق الاناضول" ("غاب، GAP" كما يعرف عالمياً) الذي اقترح إنشاء ٢٢ سداً و١٩ محطة توليد كهرباء لري ١,٧ مليون هكتار وتوليد ٧٥٠٠ ميغاوات من الطاقة الكهربائية^(٩). كلفة المشروع قدرت



قرويون أمام صهريج مياه في الأغوات، وسط العراق، ١٨ يوليو ٢٠٢٢.

القانون الدولي:

دعا مؤتمر "استعمال المياه الجارية الدولية لغير الملاحة" في ١٩٩٤ في المادة ٥ و ٦ الى تقسيم المياه المشتركة بالتساوي والمنطق بين دول المصدر والمصب لضمان استمرارية النهر ومصالح الدول المتشاطئة. العوامل التي يجب الأخذ بها بعين الاعتبار لضمان المساوات هي العوامل المناخية والايكولوجية وحاجة البلدان الاجتماعية والاقتصادية والحاجات الانسانية للسكان الذين يعتمدون على الحوض. كذلك دعا المؤتمر في المادة ٧ الى عدم قيام أية دولة بأية مشاريع مائية تسبب الاذى بدول النهر الاخرى، وضرورة التشاور معها قبل بناء هذه المشاريع^{(٨) و(٩)}. الجمعية العمومية للأمم المتحدة أقرت مسودة توصيات هذا المؤتمر في ١٩٩٧ بالاجماع ما عدا ثلاث دول من بينها تركيا، ولكن لم تصادق عليها إلا ٢١ دولة من مجموع ٣٥ دولة يجب أن تصادق عليها لكي تدخل في اطار الاتفاقات الدولية. في ١٧ آب ٢٠١٤ وبعد انتظار دام ١٧ سنة صادقت الدولة الخمسة والثلاثين على الاتفاقية وبذلك أصبحت الاتفاقية قيد العمل والتحكيم والمرجعية القانونية الدولية^(١٠).

الموقف التركي:

تركيا رفضت هذا القانون الدولي لاتباعها استراتيجية تتلخص بشعار "البتول للعرب والمياه لتركيا"، وباعتبار نهري دجلة والفرات "نهران وطنيان تركيان". جاء ذلك في عدة تصريحات ومواقف اهمها تصريح لرئيس الوزراء تركت اوزال في العام ١٩٨٨ حيث قال "ادعاء سوريا والعراق بحقوق في مياه تركيا (يقصد دجلة والفرات) هو شبيه بادعاء تركيا بحقوق في بتول سوريا والعراق. المياه امر سيادي ويحق لنا ان نفعل ما نشاء فيها، فهي ثروة تركية كما هو البتول ثروة عربية ولن نسمح بمشاركة ثروتنا المائية ولا نريد مشاركتهم ثروتهم النفطية"^(١١). هذا الموقف لم يتغير عمليا بعد سيطرة حزب العدالة والتنمية ذي الميول الاسلامية إلا في الشكل. المشاريع المائية سارت وتسير حسب خطة "غاب" المرسومة من العلمانيين ودون اي تنسيق مع دول الجوار، فالرئيس التركي رجب طيب اوردغان دشّن مشروع سد اليسو العملاق على نهر دجلة في آب ٢٠٠٦ وأكمل بناؤه بتمويل تركي، وبدأ التخزين في ٢٠١٩. المواقف كذلك لم تتغير في الجوهر فعندما كانت العلاقات جيدة مع سوريا رفض وزير الطاقة والموارد الطبيعية التركي، تانر يلديز، في اجتماع مسؤولي البلدان الثلاثة في ٣ أيلول ٢٠٠٩ في أنقرة توقيع اتفاق



© ILYAS AKENGİN / AFP

في أصل اختفاء حسن كيفا المقبل، على نهر دجلة، سد اليسو الكهرومائي العملاق، الذي ينبثق من الأرض في اتجاه مجرى النهر: مجرد اكتماله، سيؤدي إلى محو المدينة الصغيرة تماماً من المشهد الطبيعي وكذلك جسورها الحجرية وباقي المنشآت.

شامل وملزم، ووافق فقط وكجبرة خاطر على زيادة مؤقتة لكمية مياه الفرات المتدفقة الى سوريا إلى ٥٢٠ م^٣ في الثانية لمدة شهرين، وأدعى ان تركيا تعطي "أكثر من التزاماتها".

الجدير بالذكر ان تركيا تاريخياً تقاسمت المياه المشتركة مع جيرانها الآخرين فوقعت معاهدات مع روسيا في العام ١٩٢٧ قسمت فيها استعمال المياه على أربعة أنهر مشتركة بين البلدين (كورو، كورا، اريا، اراس)، ومن ثم وقعت معاهدات اخرى في السبعينات. الشيء نفسه تكرر مع اليونان في العام ١٩٥٠ عندما وقع البلدان معاهدة لوزان.

عندما يسال الاتراك عن سبب عدم تكرار هذه المعاهدات مع جيرانهم المسلمين يقولون ان الانهر بين تركيا وروسيا واليونان هي انهر دولية لانها تفصل تركيا عن البلدين الآخرين، بينما دجلة والفرات نهران "عابران للحدود" ولا يشكلان حدوداً فاصلة! (١)، لذلك فهم يعتبرونهما نهريين تركيين، ويرفضون توقيع أية معاهدة طويلة المدى تلزمهم بنسبة معينة من المياه. هذه البدعة التركية نقضها مؤتمر "استعمال المياه الجارية الدولية لغير الملاحه" التي صدقت على توصياته الامم المتحدة في ٢٠١٤ وهي توضح انه "لا يوجد اي اختلاف جوهري حول مفهوم الانهار الدولية والانهار العابرة للحدود".

الموقف الرسمي العراقي والسوري:

لمواجهة هذا الواقع حاولت حكومتا العراق وسوريا وقف العمل في هذه المشاريع المدمرة لشعوبها واقتصادها ولكن دون أية نتيجة مهمة حتى الآن. عراق صدام حسين تفرغ في الثمانينات لحربه العبثية مع إيران التي عمقت خلافه مع سورية حافظ الأسد فاعتمد على تركيا اقتصادياً لتصدير النفط عبر المتوسط، ولم يكن في موقع يستطيع فيه مجابهة اي من المشاريع التركية. وما كادت تنتهي حرب إيران، حتى شئ حرباً عبثية أخرى على الكويت في التسعينات ادت الى اضعاف جيشه وفرض عقوبات قاسية همشت العراق كبلد، ومن ثم جاء الغزو الاميري (٢٠٠٣) وتبعته الانقسامات المذهبية والعرقية التي شلت العراق كلياً وسمحت لتركيا بالاستمرار بمشاريعها دون اي مقاومة عراقية تذكر.

سوريا من جهتها حاولت منفردة مواجهة المارد التركي في الشمال المتحالف مع العدو الاسرائيلي في الجنوب. في العام ١٩٨٧ وقع البلدان "بروتوكولاً أمنياً" حصلت سوريا بموجبه على وعد تركي بضخ ٥٥٠ م^٣ الثانية من الفرات في مقابل الأمن على الحدود بين البلدين. هذا الوعد لم يكن كل ما تريده سوريا التي سعت الى اتفاق ملزم ومع ذلك فالرئيس التركي، سليمان دميريل، حاول التهرب من "الوعد" بقوله إن "القرار التركي باعطاء سوريا ٥٥٠ م^٣ كان عشوائياً". هذا الاتفاق خاضع للمزاج التركي

ففي ١٩٩٠ قطعت تركيا مياه الفرات عن دول المصب لمدة شهر لتعبئة بحيرة أتاتورك، فزادت سوريا دعمها لحزب العمال الكردستاني الذي حاول ضرب بعض السدود وتأخير العمل في بعض المشاريع. هذه الاستراتيجية السورية لم تنجح على المدى البعيد وأجبرت سوريا على ترحيل عبدالله اوجلان، زعيم حزب العمال، لتفادي حرب غير متوازنة مع تركيا في العام ١٩٩٨. سوريا ايضاً حصلت على بعض الدعم العربي عبر الجامعة العربية في التسعينات لكن دون اي تأثير يذكر على المشاريع التركية.

بعد تسلم الرئيس بشار الاسد الحكم في سوريا وغزو اميركا للعراق في العام ٢٠٠٣، وجدت سوريا نفسها مطوقة من كل الجهات ومهددة بعدوى التقسيم الطائفي والعراقي السائد في العراق، فبدأت بتمتين العلاقات السورية التركية ووقعت في العام ٢٠٠٤ اتفاقاً للتبادل التجاري الحر، وتبعها تاسيس مجلس استراتيجي والغاء تاشيرات الدخول بين البلدين حتى تخطى التبادل التجاري بين البلدين الملياري دولار في ٢٠٠٩، ولكن كل هذا لم يجد نفعاً في اجبار تركيا على توقيع اتفاق مائي ملزم. بعد ٢٠١١ تدهورت العلاقات وانقطعت الاتصالات بسبب الدعم التركي للمليشيات المسلحة في سوريا ووصلت الى حد المواجهة العسكرية المباشرة لكن المحدودة في ادلب في ٢٠١٩. العراق من جهته طور علاقته الاقتصادية مع تركيا أيضاً بإبرام معاهدة التبادل التجاري في ٢٠١٩ ووصل التبادل التجاري بين البلدين في السنين الماضية الى اكثر من ٢٠ ملياراً، وجل ما حصل عليه العراق عندما لوح بإلغاء هذه المعاهدة، حسب السيد حسن الصغار معاون مدير المعهد الوطني في إدارة الموارد المائية في وزارة الموارد المائية، هو ادراج جملة في وثيقة المعاهدة تقول "إن للعراق حقوقاً في مياه نهري دجلة والفرات". بموازاة كل ذلك تستمر المشاريع المائية التركية حسب الخطة المرسومة والتي كان آخرها سد أليسو على دجلة، وتنفذ السدود المتبقية من مشروع "غاب" (٥-١٠٪) حسب الخطة المرسومة، وتزداد الكوارث الاقتصادية على الشعبين السوري والعراقي عام بعد عام.

النتائج على سوريا والعراق:

حوض الفرات:

نتيجة لخضوع "البروتوكول الأمني" الذي وعدت فيه تركيا الجانب السوري بضخ ٥٥٠ م^٣ الثانية لسوريا والعراق للمزاج والاعتبارات التركية السياسية والاقتصادية واعتماد مبدأ تامين حاجات تركيا المائية للري والطاقة أولاً وإطلاق المياه المتبقية أو الملوثة بعد الاستعمال للدول المتشاطئة، يعاني حوض الفرات في سوريا والعراق من حالة يمكن وصفها بالموت البطيء الذي يؤدي تدريجياً الى كوارث اجتماعية واقتصادية جمّة. خلال صيف ٢٠٠٨ الجاف وبسبب استخدام مياه السدود لري الأراضي التركية

إلى أن أكثر من ٣٥ قرية كبيرة في أهوار الناصرية لحقتها الأضرار من انحسار المياه^(١٩).

٣- في ٢٠١٨ حظرت الحكومة صناعة الأرز والذرة لكثرة استهلاكها للمياه "ولإعطاء الأولوية لمياه الشرب والصناعة والخضروات" مما دفع الكثير من المزارعين إلى هجرة أراضيهم.

٤- الضرر الأكبر يصيب ٧ محافظات جنوبية، أي أكثر من ٤٠٠٠ قرية يسكنها أكثر من ٥ مليون نسمة. إن شح المياه عن هؤلاء السكان سيضطّرهم إلى "ترك الزراعة والري والهجرة إلى المدن والمراكز الحضرية الأخرى وما ينتج عنه من مشكلات اقتصادية واجتماعية وديموقراطية ونفسية تضع أعباء كثيرة على اقتصاديات البلد"^(١٩).

٥- تأثر محطات الطاقة الكهربائية في سد القادسية وغيرها نتيجة انخفاض منسوب المياه، حيث مجمل ما تنتجه هذه المحطات لا يشكل أكثر من ٤٠٪ من مجموع حاجة العراق للطاقة الكهربائية.

حوض دجلة:

المصير الذي ينتظر نهر دجلة في العراق لن يكون أفضل من توأمه الفرات بعد أن افتتح الرئيس التركي أوردغان سد أليسو في تشرين الثاني ٢٠٢١ واكتمال تخزين السد تقريبا بـ ١٠,٤ مليار م^٣ لتوليد الطاقة وبعد أن يتم تشييد سد جزيرة 'القاتل' (كما يصفه أهل العراق)، الذي يقع على بعد ٤٥ كلم جنوب سد اليسو و ٢٠ كلم شمال الحدود السورية-العراقية، لري أكثر من ١٢١,٠٠٠ الف هكتار. هذا المصير كادت بوادره تظهر في صيف ٢٠١٩ بعد أن بدأت تركيا بتخزين المياه في بحيرة سد أليسو في قوز لولا السيول والأمطار الغزيرة الغير-اعتيادية التي ملأت الخزانات والسدود العراقية شتاءً وأمنت التخزين الكافي للبلاد للاستفادة منه صيفاً. في صيف ٢٠٢٠ اختلف الأمر فقدّر خبير استراتيجيات وسياسات المياه في جامعة دھوك رمضان حمزة إن "مستوى المياه في نهر دجلة كان ٦٠٠ م^٣ في الثانية، وبعد بناء تركيا سد أليسو انخفض إلى ما بين ٣٠٠ و ٣٢٠ م^٣ في الثانية"^(١٥). من الأرجح أن هذا المعدل من التدفق سيستمر بعد بناء سد الجزيرة في ٢-٣ سنوات القادمة.

بعد تعبئة سد أليسو وبعد أن ينتهي تشييد وتشغيل سد جزيرة في ٢٠٢٥-٢٠٢٦ تقريبا، يتوقع الخبراء ما يلي:

١- حجب مياه النهر المتدفقة من تركيا بمعدل ٨-٧ مليار م^٣ سنوياً أي ٤٠٪ من تدفق النهر. الاخطر من كمية المياه المحتجبة هو تقلبها حسب الفصول واحتمال تدفقها بمستوى "التدفق البيئي (٦٠ م^٣/ثانية)" (رسم بياني-١) كحد أقصى أو انقطاعها كلياً عند الحدود التركية-السورية خلال اشهر الصيف بسبب ري ١٢١ ألف هكتار من الاراضي التركية خلال هذه الأشهر^(١٦).

اولاً، هددت المجاعة ٣٠٠ الف سوري على حوض الفرات بسبب قلة الامطار ونضب مياه الفرات^(١١)، ففقدوا أراضيهم الزراعية ونزح قسم كبير منهم إلى مخيمات بؤس في حلب ودمشق ومدن الساحل. خلال صيف ٢٠١٩ بدأت تركيا بخفض كميات المياه القادمة إلى سوريا إلى "أقل من ربع الكمية المتفق عليها" أي ١٢٥ م^٣/ثانية حسب إدارة سد تشرين (ثاني أكبر السدود على نهر الفرات في سوريا) وأضافت الإدارة أن ذلك "سينعكس مباشرة على الثروة البيئية والمنتجات الزراعية وبالتالي سترك أثره بشكل مباشر على اقتصاد المجتمع ويهدد الأمن الغذائي العام للمواطن". بالإضافة إلى ذلك، يجد أكثر من مليون شخص في مدينة الحسكة أنفسهم أمام مخاطر العطش في كل صيف بسبب إخضاع ضخ المياه إلى محطة علوك (في ريف مدينة رأس العين التي تحتلها تركيا) لحسابات سياسية تركية.

وضع حوض الفرات في العراق ليس بأفضل حال فهو امتداد للوضع في سوريا. خلال الفترة بين ١٩٩٠ و ٢٠٠٨ وبعد التفاهم السوري-العراقي على أن تكون حصة العراق ٦٠٪ من ٥٠٠ م^٣ (أي ٣٠٠ م^٣ في الثانية) المتدفقة من الحدود التركية، انخفض تدفق المياه إلى العراق بنسبة ٥٠٪ من ١٨ مليار م^٣ إلى ٩ مليار م^٣.

يمكن اختصار الأضرار التي تلحق بالعراق بما يلي:

١- إن نقصان كل مليار م^٣ من المياه يؤدي تقريبا إلى نقصان ٢٦٠ ألف دونم ولذلك كادت خسارة ٩ مليار م^٣ من المياه أن تؤدي إلى أن يخسر العراق ٢,٣٤ مليون دونم (٥٨٥٠ كلم^٢) من الأراضي الزراعية بعد تشغيل سد أتاتورك في ١٩٩٠ لولا تعويض المياه المحجوبة من بحيرة الثرثار المالحة التي قلصت الخسارة إلى ١,٣ دونم تقريبا^(١٩). الجدير بالذكر أن مخزون الثرثار لم يدم طويلاً حسب عضو لجنة الزراعة والمياه والأهوار بالبرلمان علي البديري الذي حذر من كارثة مائية في المحافظات الجنوبية وقال بأن "مستوى المياه اليوم خاصة في نهر الفرات هو دون النصف من مستواه الحقيقي، كما أن الاعتماد الآن بالدرجة الأساس على مخزون حوض الثرثار وبنسبة تصل إلى ٥٠٪ من الاستهلاك اليومي للمياه، ما يعني أن هذا الخزان لن يكفيها لفترة طويلة بحال بقاء الوضع على ما هو عليه"^(١٤).

٢- بسبب قلة التصاريح التي تطلقها تركيا وتقلبها، تردت نوعية المياه الداخلة إلى العراق نتيجة الملوحة والمياه الراجعة والسموم إذ بلغت معدلات الملوحة نسبة ١٨٠٠ ملغ/لتر في ٢٠٠٩ بعد أن كانت بحدود ٣٧٥ ملغم/ لتر عام ١٩٨٧ (بينما المعدل الدولي المقبول هو ٨٠٠ ملغ/لتر). بالإضافة إلى الأضرار بالأراضي الزراعية فإن ارتفاع ملوحة المياه أدى إلى الأضرار بالمشاريع الصناعية ومشاريع تنقية وإسالة مياه الشرب. في آب ٢٠١٥ أطلقت محافظة ذي قار في جنوب العراق تحذيراً من تداعيات تلوث المياه الناجم عن انخفاض مناسيب نهر الفرات، وأشارت

سد الموصل وتمثل ٤٢٪ من طاقة تخزين السد التي تصل الى ١١ مليار م^٣ (١٤).

٣- انخفاض كبير في إنتاج الطاقة الكهربائية، بسبب تأثر محطتي سد الموصل وسد سامراء، اللذان سيتعذر عليهما إمداد المصانع ومحطات ضخ المياه وبقية المؤسسات الأخرى بما تحتاجه من طاقة ضرورية لتشغيلها.

٤- ازدياد نسبة الملوحة في حوالي ٦٠٠-٧٠٠ ألف هكتار من أجود الأراضي الزراعية وخاصة الشمالية، وزيادة الأراضي الجرداء المتصحرة بـ ٣ ملايين دونم (٧,٥٠٠ كلم) (١٣) في الوسط والجنوب حسب الخبراء، سيتسبب بخروج ٢٥-٣٥٪ من الأراضي الزراعية من الخدمة.

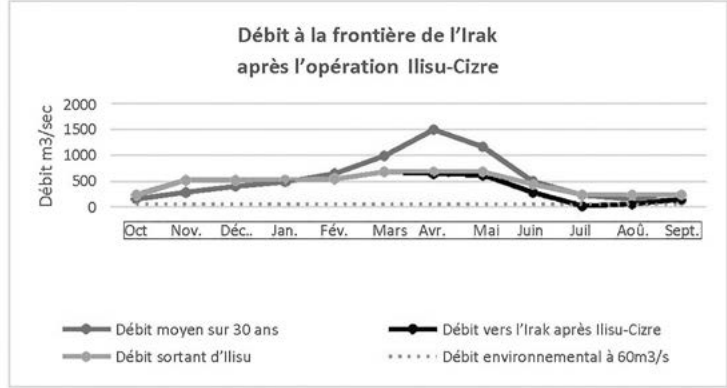
٥- من الناحية الانسانية يقدر الخبراء ان نسبة قد تصل الى ٥ ملايين عراقي ستضطر الى الهجرة الى المدن او الدول المجاورة طلبا للرزق بسبب شح مياه الشرب والتصحّر.

٦- تتفاقم المسألة وتزداد سوءاً من جانب إيران التي تسيطر على ٦ ملايين م^٢ (١٥٪) من المياه المتدفقة للعراق حالياً، حيث تقوم بدورها ببناء السدود وتحويل الانهار الى داخل الاراضي الإيرانية على روافد دجلة في الشمال (الزاب الاصغر، ديالة) وعلى نهري الكارون والكلخ في الجنوب قرب شط العرب.

٧- الاحتمال الكبير لانهار السدود التركية بفعل الزلازل فهناك علاقة سببية مؤكدة علمياً بين وقوع الزلازل بسبب السدود العملاقة وبحيراتها وعلاقة أخرى بين انهيار السدود بسبب الزلازل في المناطق الناشطة زلزالياً، حسب الخبراء طلال بن علي محمد مختار، أستاذ علوم الجيوفيزياء في إحدى الجامعات السعودية (١٨). الزلزال الأخير الذي ضرب جنوب غرب جبال طوروس كان ان يهدد اضخم سد في مشروع "غاب" (سد اتاتورك) لولا بعده النسبي عن مكان الزلزال وبنيته القوية والتي هي غير متوفرة في كل سدود المشروع.

خاتمة:

أمام سوريا والعراق فرصة، ربما الأخيرة، لمواجهة هذا الخطر الوجودي الذي يهددهم. إذا لم تكن الحكومتين والشعبين على مستوى المسؤولية وواجهوا شريعة الـ "غاب" التركية سوياً، فإننا بانتظار العديد من مشاهد "الصيف الجاف" الذي ستتناحر فيه دول المصب على الفتات. على المدى البعيد، سيؤدي ذلك إلى كارثة

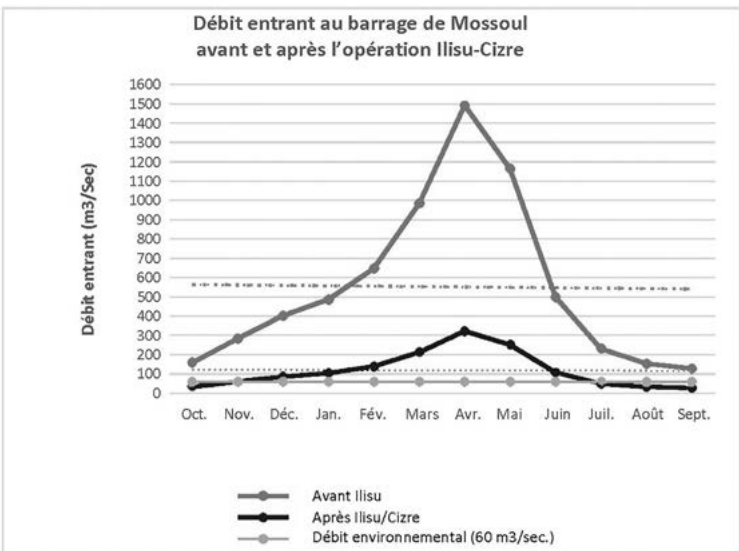


Graph. 1 - Le débit du Tigre avant et après le barrage d'Ilsu et de Cizre

رسم بياني (١) - تدفق دجلة على الحدود العراقية قبل وبعد سدي أليسو وجزرّة

٢- في دراسة بعنوان "نهر دجلة: التأثير الهيدرولوجي لسد إليسو على سد الموصل" قام بها مؤخراً "معهد النشر الرقمي المتعدد التخصصات" MDPI، في باسيل، سويسرا في آذار ٢٠٢٠ (١٧)، قيموا فيها أسوأ الحالات التي يمكن ان يصل اليها سد الموصل فاستنتجوا التالي:

- سينخفض متوسط التدفق السنوي المتوقع إلى حوالي ١١٩ م^٣/ ثانية أي انه سينخفض الى ٢٢٪ من متوسط التدفق السنوي للمتعدد التخصصات (٥٥٣ م^٣/ ثانية) الذي يظهره رسم بياني (١) ادناه. الجدير بالذكر ان معدل التدفق سيكون بمستوى او اقل من "التدفق البيئي (٦٠ م^٣/ ثانية)" لمدة ٥ شهور حسب رسم بيان (١)، وهذا عملياً سيخرج سد الموصل من الخدمة.
- سيبلغ معدل التدفق التراكمي للعام بأكمله في حوالي ٤,٦ مليار متر مكعب أي أكثر بقليل من ما يسمى بـ "المخزون الميت" في



Graph. 2 - Débit du barrage de Mossoul avant et après l'opération Ilisu/Cizre

1, 2015

<https://www.alquds.co.uk/%25EF%25B-%25BF/أزمة-نقص-المياه-في-العراق-آثار-كارثية>

14- تأثيرات السدود التركية على العراق الحلقة الخامسة؛
المهندس حيدر كمونة، 28 تموز 2009

<https://www.gilgamish.org/2009/07/28/20134.html>

15- العراق يواجه نقصاً بالغاً في تدفق المياه بسبب مشروعات
تركية، نافذة العرب July 17, 2020

<https://www.arabwindow.net/world/news1494330.html>

16- A Review of the Hydrologic and Geomorphologic Impacts of the Proposed Ilisu Dam; Philip Williams

Associates, 20 February 2006

17- "Hydrological Impact of Ilisu Dam on Mosul Dam; the River Tigris, www.mdpi.com, 27 March 2020.

18- كتاب، القيامة العراقية الآن.. كي لا تكون بلاد الرافدين بلا
رافدين، علاء اللامي

19- العراق بلا أنهار عام 2040.. هذه قصة أزمة المياه،
Aljazeera.com

<https://www.aljazeera.net/politics/2019/1/14/العراق-أزمة-مياه-جفاف-تركيا-إيران>

20- <http://www.newscientist.com/article/dn17517-fertile-crescent-will-disappear-this-century.html>

على الشعب في العراق، على غرار كارثة شعب فلسطين، ستُشرّد
لاجئو المياه العراقيون الى المدن العراقية والدول المجاورة،
وتُحوّل الهلال الخصيب الى هلال نضيب، حيث سيصبح العراق
وأجزاء كبيرة من سوريا امتداداً لصحراء شبه الجزيرة العربية.

هذه ليست اقوالاً للترهيب، ففي تقريرين منفصلين للمنظمة
الدولية للبحوث ومنظمة المياه الأوروبية استنتجوا فيهما موت
نهري دجلة والفرات في العراق في العام ٢٠٤٠ بسبب السدود
التركية^(١٩). كذلك فالعالم الياباني، أكيو كيتوه، من معهد
متيولوجيكل للأبحاث في اليابان، الذي يدرس تحولات الطقس
وتأثير السدود التركية، توقع زوال "الهلال الخصيب القديم" في
هذا القرن "والعملية قد بدأت"^(٢٠).

المصادر:

1- "Dry Summer" Movie; <http://www.theatours.com/films/1328> -1964

2- http://en.wikipedia.org/wiki/Tigris%E2%80%93Euphrates_river_system

3- Rivers Of Fire: Conflicts over water in the Middle East; Arnon Soffer, 1999

4- http://en.wikipedia.org/wiki/Southeastern_Anatolia_Project

5- Water Security in the Middle East: Growing Conflict Over Development In The Euphrates Tigris Basin; Peter MacQuarrie, 2004

6- Dam Funding; <https://www.dw.com/en/euro-pean-insurers-withdraw-funding-for-turkeys-ilisu-dam/a-4461556>

7- Convention on the Law of Non-navigational Uses of International Watercourses; UN, 1997

8- "القانون الدولي الجديد للمياه لمصلحة العراق فلماذا لا تستعمله
الحكومة العراقية ..."

علاء اللامي، موقع "العراق البديل"

<https://al-aalem.com/article/46813>

[القانون-الدولي-الجديد-للمياه-لمصلحة-ال-](https://al-aalem.com/article/46813)

9- العرب والفرات بين تركيا واسرائيل — عايد العلي سري
الدين - 1997

10- "Tigris-Euphrates River Dispute"; <http://www1.american.edu/TED/ice/tigris.htm>

11- "Severe drought affects 1.3 million in Syria"; The Christian Science Monitor, 18 September 2009

12- "سلاح السدود التركي ..."; RT Arabic
[https://arabic.rt.com/middle_east/1132771-](https://arabic.rt.com/middle_east/1132771-سلاح-السدود-التركي-خفف-مياه-الفرات-يهدد-بكارثة-بيئية-في-سوريا)

[سلاح-السدود-التركي-خفف-مياه-الفرات-يهدد-بكارثة-بيئية-في-سوريا](https://arabic.rt.com/middle_east/1132771-سلاح-السدود-التركي-خفف-مياه-الفرات-يهدد-بكارثة-بيئية-في-سوريا)

13- "The Crisis of Water Shortage in Iraq... Catastrophic Effects and the Absence of a Immediate Solution", Al-Quds Al-Arabi, August

علم الآثار، الدين والإمبريالية

ميشيل غوديشو MICHEL GODICHEAU



كانت الكهنة بأثياهم الترابية تجوب بلاد ما بين النهرين بخوذات استعمارية تحت أنظار البدو المرتبكة، لكن الكهنة أنفسهم كانوا أحياناً يهتزون ويدهشون مما يكتشفون. منذ ذلك الحين، فرض منطق علمي نفسه جزئياً، إلى أن أدت الحروب حول النفط والغاز إلى تدمير الكثير من الخيوط التي كانت تربطنا بهؤلاء الأسلاف منذ ٦٠٠٠ عام وأكثر، ولذلك اتخذ أهمية قصوى السؤال حول ضرورة القيام بحفريات ومعرفة مصير المواقع الأثرية. لم يتم حفر ثلثي المواقع الأثرية. لم يبقَ أحد منذ الحروب التي دمرت العراق.

سومر وبابل تهران الغرب، أما السكان الحاليون للمناطق التي كانت تقع فيها هذه الحضارات فهم ييهررون أقل بكثير هذه الأيام. يمكننا قصف الجنة الأرضية.

في عام ٢٠٢٢، لم يعد لدى زقورة أور، وفقاً لمقال نشرته هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، إلا حارس واحد وصدام حسين الذي أوقف في عام ١٩٩١ طائرتين من طائرات ميغ بالقرب من الموقع لحمايته لم يكن حظه أفضل من نداءات اليونسكو للحفاظ على معابد تدمر (سوريا) أثناء تقدم "الدولة الإسلامية".¹

علاوة على ذلك، من ثوابت حضارات المنطقة أنها تعرضت لمد وجزر ظاهرتين: الحروب والنظام المائي: المياه الأرضية المرتبطة بالأمطار على طوروس وهضبة الأناضول المرتفعة، وارتفاع أو انخفاض مستوى سطح البحر في الخليج. تشير الباحثة الكندية مارتين هاردي أيضاً إلى أن القادة السياسيين لبعض الممالك القديمة كانوا أول من أدرك أهمية الحفاظ على آثار الأحداث المؤسسية وتصنيفها: في مكتبة آشوربانيبال (القرن السابع قبل الميلاد). تم العثور على أرشيفات مؤرخة بين - ٢٢٥٠ و - ٢٤٠٠. الأنظمة السياسية الحالية التي تحتقر المحفوظات أو تدعي تقليل حفظها والوصول إلى استخدام تكنولوجي فقط لا يزال ينقصها تعلم الكثير.²

1 <https://wwwbbc.com/afrique/articles/cw5eyqre6zlo>

2 Martine Hardy - Les archives de la civilisation mésopotamienne. https://papyrus.bib.umontreal.ca/xmlui/bitstream/handle/1866/2912/Archives_Mesopotamie.pdf?sequence=7&isAllowed=y



كان في بلاد ما بين النهرين السفلى أن أسقف أفرانش، هويت، حدد موقع الجنة الأرضية التي تم رسم خريطة لها حسب الأصول. كان هذا الأسقف أيضاً عالماً وأكاديمياً كتب باللاتينية ولم تُرجم مذكراته إلى الفرنسية إلا في عام ١٨٥٣. وهكذا كتب في عام ١٦٩١ "دراسة عن حالة الفردوس الأرضي".

بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت الحكومات العراقية تهتم بالتنقيب: "منذ عام ١٩٥٨، وخاصة منذ عام ١٩٦٨، لم يكن التوجه السياسي للبلد معارضاً لتمجيد الأجداد العظماء، السومريين أو الأكاديين، المدعويين إلى الإنقاذ لبناء الوحدة الوطنية."

خلال فترة وجيزة وعلى الرغم من الكبح الذي فرضته الحرب العراقية الإيرانية الدموية للغاية، بدأت الحكومات تتجه، تحت ضغط الأعمال الهيدروليكية، لمحاولة التنسيق بين الفرق الدولية التي تعطلت جهودها بسبب الحربين اللتين نفذهما الغرب ضد العراق.

البحث عن الجنة على الأرض

أكوام "الصلبان الحقيقية" المتراكمة في الغرب من الحروب الصليبية تشهد على الحاجة إلى تقديم الدعم المادي للمؤمنين.

كان وصول الكهنة والدبلوماسيين إلى المواقع التي ستصبح مواقع تنقيب متزامناً بشكل أو بآخر: "بين عامي ١٧٦٠ و ١٨٠٠. وفي عام ١٧٨٦، استغل الفلكي جوزيف دي بوشامب، النائب العام في بغداد، وقت الفراغ لزيارة المواقع القريبة من منزله."

وهكذا سعى رجال الدين المتخصصون إلى تحقيق هدف ديني، لتأكيد معتقداتهم، مع اعتماد منهج تاريخي. سيكون من

عانت المنطقة من النهب الأثري أو الغذائي لعدة قرون: على مدى خمسين عاماً، كانت النزاعات المستوردة التي تهدد المنطقة هي التي أساءت إلى وجود أو الحفاظ على الآثار، خاصة تلك (يقال ٢٧٠) المتبقية للدراسة.

نهاية الدولة العثمانية، علم الآثار بين الدراسات والنهب (ST)

يلقي عالم الآثار جان لوي هووت، الذي كان بالنسبة لفرنسا، أحد الناشطين الرئيسيين في الحفريات في الربع الأخير من القرن العشرين، من خلال ملاحظاته في كتابه "السومريون بين نهري دجلة والفرات"³ عدداً من المفاتيح.

قبل الحرب العالمية الأولى، كان علماء الآثار الألمان هم الوحيدون الذين يعملون، تحت تأثيرين، تأثير الكنيسة الإنجيلية الألمانية، والأكثر سياسية تأثير الأباطور ويليام الثاني، الذي أسس مركز المشرق الألماني Deutsche Orient Gesellschaft لهذا الغرض.

يمكن العثور على باحثين فرنسيين في المنطقة منذ منتصف القرن التاسع عشر، حتى لو تم إثبات وجود متقطع منذ القرن الثامن عشر. يلاحظ J-L Huot: "خارج إطار هذا الوجود العلمي الرفيع لم نعرف في العام ١٨٤٠ في الشرق القديم، إلا ما ذكره الكتاب المقدس".

وفي هذا الوقت وصلت فرق بحث بريطانية وأمريكية (١٨٨٩) لاحقاً. وفي هذا الوقت وصلت الألواح المغطاة بالنقوش المسامرية إلى متحف اللوفر والمتحف البريطاني في فوضى عارمة.

في عام ١٨٧٧، جاء نائب القنصل الفرنسي إرنست دي سارزيك في البصرة لقيادة الباحثين. يلاحظ J-L Huot: "تظل الرواية الرسمية سرية بشأن أسباب وصول سارزيك" ويتابع: "النتيجة كانت فشلاً ذريعاً، لكن الفرنسيين ليسوا وحدهم الذين عملوا أولاً من أجل مجد بلدانهم الأصلية: قصة البعثة الأمريكية المرسلة إلى نيبور عام ١٨٨٩ مثيرة أيضاً".

إلا أن الحرب العالمية الأولى هي التي حسمت بقية البحث بطرد الألمان: "... في آذار (مارس) ١٩١٧، وهو التاريخ الذي أجبرت فيه القوات الإنجليزية البعثة على مغادرة المكان".

كان المقرر أن تقرر اتفاقيات سايكس بيكو الباقي: مرت مناطق البحث تحت سيطرة القوات البريطانية. شيئاً فشيئاً سيعود الألمان والفرنسيون، ولكن، هنا كما في أي مكان آخر، تسمى نقطة التحول روكفلر: في عام ١٩١٩ تم تأسيس وتمويل "المعهد الشرقي"، تحضيراً لدخول الأمريكيين إلى المنطقة.

3 Jean-Louis Huot «Les Sumérien entre le Tigre et l'Euphrate» - Coll U; Armand Colin - 1989 Les citations se trouvent (dans l'ordre) aux pp. 37, 41, 43, 49, 36, 59, 81.

عالمية

الضروري انتظار الإنجيليين الألمان - بدعم من ويليام الثاني - ثم الأمريكيين - بدعم من روكفلر - حتى تصبح هذه القضية منظمة. يلاحظ J-L Huot أنه في عام ١٨٤٢، "عندما كتب فيردي كتابه "نابوكو"، لم يكن هناك شيء معروف عن سميراميس الحقيقي" (ص ٥٩).

هذا بالتأكيد لم يمنع من وضع الفرضيات... حصريا من الكتاب المقدس! ولم يبق على المستكشفين إلا أن يرتبوا الأمر ويوثقوه.

وهكذا، في بلاد ما بين النهرين السفلى، حدد المطران هويت Mgr Huot، أسقف الأفانش d'Avranches، الجنة الأرضية، التي رُسمت في خريطة كما يقتضي. كان هذا الأسقف أيضاً باحثاً وأكاديمياً كتب باللاتينية ولم تُترجم مذكراته إلى الفرنسية إلا عام ١٨٥٣. وهكذا كتب في العام ١٦٩١ "مجلداً عن حالة الجنة الأرضية"⁴.

علاوة على ذلك، فإن جنة عدن في الكتاب المقدس، وفقاً للعديد من الباحثين، لها جذور مادية، حيث أن المؤرخ اليوناني هيرودوت، وهو من مواليد هاليكارناسوس (بودروم حالياً)، بعد رحلة من بضعة أسابيع من في قافلة من بغداد، قد عبر عن إعجابه. يلاحظ J-L Huot: "إن اقتصاد الصيادين-القطافين أو حتى بعض المزارعين البدائيين هو أول مجتمع غني بوفرة فعلية عرفه العالم حتى الآن" (ص ٨١).

4 A retrouver sur Gallica: <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bp-t6k1098564.image>

غالباً ما يقال "التاريخ يبدأ في سومر"، وصحيح أن الحضارة السومرية تلاشت حوالي عام ٢٣٤٠ قبل زمننا وتركت لنا الكتابة قبل ظهور الشخصيات التوراتية في تاريخ البشرية بوقت طويل. لكن يمكننا جميعاً أن نتساءل عما إذا كان هذا الهوس بالجنة الدنيوية لم يحجب حقائق أخرى في عوالم مستعمرة أخرى: الفن النيجيري، على سبيل المثال، يشهد اليوم منذ ما يقرب من ٤٠٠٠ عام، حتى لو لم تكن ظروف التخزين مثل تلك التي كانت شائعة في بلاد ما بين النهرين.

ثم هناك سؤال يعذب كاتب هذه السطور. نحن نعيش في زمن التراجع. وهذا متعدد الأوجه. لقد نقلت أعلاه التجربة الفاشلة لصدام حسين، بناء على الفكرة الإيجابية، ولكن الخاطئة، بأن التحالف قد يحترم المواقع الأثرية. اتضح العكس تماماً. استخدم المحتل الأمريكي التلال غير الخاضعة بعد لأي تنقيب كمواقع مراقبة عسكرية، وأحياناً قام بتسويتها قليلاً لاحتياجاته اللوجستية. ولا يسعني إلا أن أعبّر عن هذا الذي حدث في جنازة الصحفية الفلسطينية التي اغتيلت على يد الجيش الإسرائيلي إثر مهاجمته لحاملي النعش. المستقبل الذي يقدمه لنا هؤلاء الناس هو عالم يوعظ بالأخلاق وفي الوقت نفسه ينظم الهمجية. من وجهة النظر هذه، فإن قصف جنة عدن وتدمير منازل الفلسطينيين وأشجار الزيتون في الضفة الغربية هو نفس الجريمة التي لا يمكن تبريرها.

ميشيل غوديشو Michel Godicheau

هو مفكر حر، وعضو في هيئة تحرير مجلة Idée Libre.



صورة جوية للحي المقدس في موقع أور خلال فترة التنقيبات البريطانية، ١٩٢٧. - سلاح الجو الملكي الرسمي/الملكية العامة.

الأمير عبد القادر في دمشق

دومينيك غوسو Dominique Goussot



لا يمكن إدراك الضوء المطلق أكثر من الظلام المطلق. لذلك أضيء النور على الظلمة، بحيث أن الظلمة نراها عبر النور ونرى النور عبر الظلمة.

الأمير عبد القادر¹

1 Émir Abdelkader, Érits spirituels, tard. Michel Chodkiewicz, Éditions du Seuil, Paris, ٢٠٠٨, ٢٢٤ pages.

بعد قصف الجزائر العاصمة عام ١٨٢٩، ثم احتلال سيدي فيروش في ١٤ يونيو ١٨٣٠، تولى الأمير الشاب عبد القادر (١٨٠٨-١٨٨٣)، من عام ١٨٣٢، قيادة مقاومة الاحتلال الفرنسي الذي بدأه تشارلز العاشر. أولاً، ترددت فرنسا بشأن الإجراء الذي يجب اتخاذه في مواجهة تصميم عبد القادر: وقعت معه معاهدي ديميشيل وتافنا لعامي ١٨٣٤ و ١٨٣٧، اللتين صادقتا على استعمار شريط ساحلي كبير والاعتراف بإدارة ثلثي الإقليم من قبل الأمير الشاب وحاشيته. ومع ذلك، استأنف القتال في عام ١٨٣٩ وأجبر فرنسا على نشر قوة احتلالية قوية، تحت قيادة بوجود Bugeaud، الذي حصل على استسلام عبد القادر في ٢٤ ديسمبر ١٨٤٧، بعد ارتكاب جرائم حرب مروعة مثل تلك التي ارتكبتها العقيد بيليسيه في ١٨٤٥ في كهف بالقرب من مستغانم.

أقام الأمير عبد القادر في دمشق من عام ١٨٥٥ حتى وفاته في ٢٦ مارس ١٨٨٣ بعد نفيه بمبادرة من السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر.

من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٥، مع حاشيته، تم وضع عبد القادر تحت الإقامة الجبرية في فرنسا، أولاً في طولون، ثم باو وأمبواز، حيث مكث لمدة أربع سنوات، في حين أن الاتفاق المبرم مع الجنرال لاموريسير نص على المغادرة الفورية إلى الشرق. نُفي فيكتور هوغو أيضاً إلى جيرسي، ورسم صورة رائعة لعبد القادر في تشرين الثاني ١٨٥٢ في القصيدة الشرقية poème oriental: "هو السلطان المولود تحت النخيل / رفيق الأسود الحمر / الحاج الشرس بعيون هادئة /" أمير متأمل شرس ولطيف¹. في ١١ ديسمبر ١٨٥٢، أطلقه الإمبراطور الجديد نابليون الثالث، ومنحه معاشاً سنوياً قدره ١٠٠٠٠٠ فرنك. لجأ الأمير إلى بورصة في الأناضول، ثم انتقل إلى دمشق عام ١٨٥٥، حيث كانت تنتظره حياة جديدة.

تميز عبد القادر في دمشق بطريقتين سلطتا الضوء على التماسك العميق لرجل من عصر التنوير الإسلامي. من ناحية، جاء لمساعدة المسيحيين ضحايا التعصب الدرزي عام ١٨٦٠.

1 Victor Hugo, Les Châtiments, coll. La Pléiade, tome II, Éditions Gallimard, 1967, page 72.

من ناحية أخرى، واصل الشاعر اللاهوتي التزامه وتعاليمه الصوفية، واستكملها بمبادرة ماسونية.

جوهرة الإمبراطورية العثمانية المتهورة خلال القرن التاسع عشر، كانت دمشق مكاناً رمزياً بارزاً. في حين أن حقبة التنظيمات الإصلاحية الدستورية فرضت نفسها دون نجاح كبير. وقد شهدت المدينة مع ذلك توترات مروعة خلال العقود من ١٨٤٠ إلى ١٨٦٠، والتي ساهم في تهدئتها عبد القادر.

في عام ١٨٥٣، خلال مقابلة مع سفير المملكة المتحدة، بصفته خبيراً، توصل القيصر نيكولاس الأول إلى تشخيص ممتاز: الإمبراطورية العثمانية "رجل أوروبا المريض". ينهار العملاق بأقدام من الطين ببطء: بعد رحيل الفرنسيين عن مصر، حرر محمد علي نفسه من القسطنطينية وقام بحملة ناجحة إلى سوريا وفلسطين بموافقة فرنسا والمملكة المتحدة. بموجب معاهدة لندن، لم يسترد الباب العالي سيادته على هذه البلدان حتى عام ١٨٤١. في عام ١٨٣٠، تحت ضغط مشترك من فرنسا والمملكة المتحدة وروسيا، حصلت اليونان العثمانية على استقلالها في عام ١٨٣٠، بعد مؤتمر لندن بينما بدأت فرنسا غزو الجزائر. أخيراً، احتفظت القسطنطينية بشبه جزيرة القرم فقط بعد الحرب المنتصرة التي شنتها لندن وباريس ضد الإمبراطورية



© Domaine public

عبد القادر في أمبواز، فرنسا، ١٨٥١، بريشة غوستاف لو غراي. الطباعة على ورق الزلال. مكتبة فرنسا الوطنية، قسم المطبوعات والتصوير الفوتوغرافي، باريس - الملكية العامة.



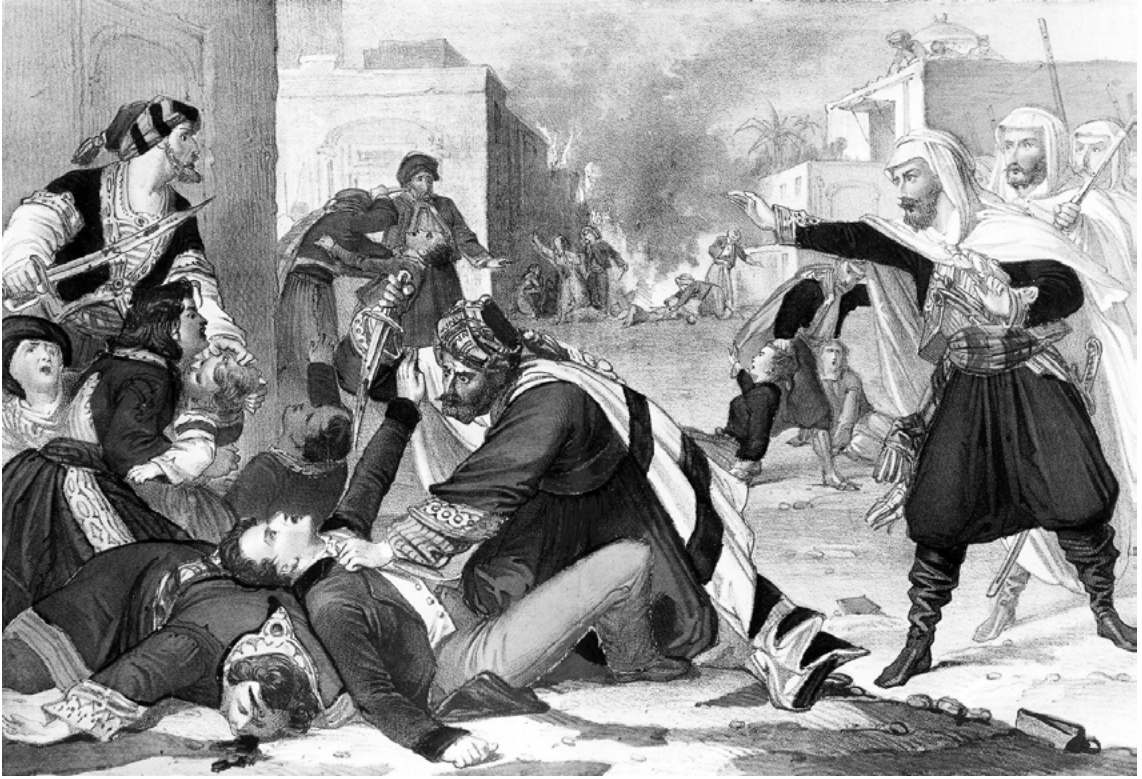
© https://journals.openedition.org/remmm/7892

التقطت هذه الصورة على الأرجح من قبل الأخوين عبد الله عام ١٨٦٥، وهما مصوران كانا يمتلكان استوديوها نشطاً في إسطنبول في النصف الأول من القرن التاسع عشر. تم تزيين عبد القادر بجميع الأوسمة التي حصل عليها بعد موقفه البطولي خلال المذابح ضد المسيحيين في دمشق. وتحت الصورة إهداء بخط عبد القادر.

الروسية، من ١٨٥٣ إلى ١٨٥٦. هذه النكسات، التي تميزت باعتماد متزايد للإمبراطورية العثمانية على الغرب، دفعت الباب العالي لإجراء إصلاحات بدءاً من العام ١٨٣٩، وأولها المساواة بين رعايا الأمبراطورية. وقد أدت هذه الإصلاحات إلى إصدار دستور ١٨٧٦.

عندما انتقل عبد القادر إلى دمشق عام ١٨٥٥، في الحي الجزائري، كان عدد سكان المدينة ١٥٠ ألف نسمة²، من بينهم ٢٢ ألف مسيحي و ٥٠٠٠ يهودي. هذه المدينة المعروفة بالفعل منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد، والمذكورة في سفر التكوين (تكوين ١٤-١٥ و ٢-١٥)، تبدو، على الأرجح مع بعض المغالاة، ملاذاً للتنافس منذ فجر التاريخ. تحتفظ المدينة بذكريات تبجيل ملك الآلهة اليونانية، زيوس، الذي تم تكريس معبد له، لا تزال جذوره مرئية حتى اليوم، واعتناق اليهودي بولس للمسيحية ومعموديته في كنيسة Sainte-Anamie، تحت الأرض اليوم، كما تميزت بعهد الأمويين من ٦٦١ إلى ٧٥٠، هذه السلالة

2 يبلغ عدد سكان المدينة اليوم مليون ونصف المليون نسمة، أو حتى خمسة إذا أخذنا في الاعتبار عدد سكان المدينة مع ضواحيها.



الأمير عبد القادر (على اليمين)، يسارع لمساعدة المسيحيين في بلاد الشام، في دمشق، ٩ تموز (يوليو) ١٨٦٠. - © شارع المحفوظات

من ٩ إلى ١٧ يوليو ١٨٦٠، كانت دمشق مرة أخرى مسرحاً للاشتباكات بين الأديان، أخطر بكثير من التي حدثت في عام ١٨٤٠. وقبل ذلك ببضعة أشهر، قام الدروز، الذين يعتبرون الفرع الإسماعيلي للشيعة، مع الالبانية في الإسلام، بهجمة المواردية في جبل لبنان. تفاقمت المجازر إلى حد كبير خلال الصيف في دمشق. ما يقرب من ربع السكان المسيحيين قتلوا، أي حوالي خمسة آلاف شخص. نجا ما يقرب من ١٥٠٠٠ من المسيحيين المواردية بفضل عبد القادر وأمناره. وقد لجأ كثيرون منهم إلى القلعة والحي الجزائري، حيث يقيم الأمير، ثم أجبر عدد كبير منهم على النفي. وقد تدخل الأمير لدى وجهاء مسلمين في دمشق لإيجاد حل للأزمة بينما لم يتردد أمناره في مواجهة الدروز. ومن جانبه، ومن أجل منع التدخل الأوروبي وتأكد سلطة الباب العالي على سوريا، نفذ مبعوث السلطان إعدام مائة شخص يُفترض أنهم مسؤولون عن المجازر وكذلك تم نفي العديد من أعيان المسلمين. في آب، نيابة عن القوى الأوروبية، أرسلت فرنسا قوة استكشافية، كانت متمركزة حتى يونيو ١٨٦١، لاستعادة الهدوء ومحاولة إيجاد حل سياسي للوضع المضطرب في سوريا⁴. بسبب الدور البارز الذي لعبه عبد القادر في دمشق في يوليو ١٨٦٠، خطط نابليون الثالث، خلال رحلته الثانية إلى الجزائر عام ١٨٦٥، لتكليفه بإدارة المملكة العربية

المسلمة التي خلعتها العباسيون ونقلوا الخلافة إلى بغداد. تم ترميم الجامع الأموي عام ١٩٢٩ تحت الانتداب الفرنسي، وهو يحتفظ بذكرى المؤسسين في المنفى للحضارة الإسلامية الرائعة في الأندلس، والتي تميزت بشكل من أشكال التسامح الديني.

مع ذلك، نظراً لضعف الإمبراطورية العثمانية، تضاءلت الصراعات بين الأديان في دمشق.

في عام ١٨٤٠، بينما كانت المدينة لا تزال تحت الإدارة المصرية، اختفى الراهب الكبوشي الفرنسي توماسو دا كالانجيانو مع خادمه إبراهيم عمارة. تم اعتقال ثلاثة عشر يهودياً متهمين بارتكاب جريمة اغتيال رجل الدين وخادمه موافقة القنصل الفرنسي الذي قبل تفسيرات المسيحيين من الطقوس الأرثوذكسية في دمشق. دعماً لقرار الوزير أدولف تيير، شنت الصحافة الكاثوليكية حملة معادية للسامية في فرنسا. ومع ذلك، فإن الدول الأوروبية الأخرى لم تتبع فرنسا، ولا سيما بريطانيا العظمى والإمبراطورية النمساوية. في النهاية، سيتم العفو عن الأشخاص الثلاثة عشر الذين حوكموا لتجنب أزمة دبلوماسية مفرطة في العنف³.

3 Voir Henry Laurens, L'invention de la Terre sainte (1799-1922), vol. 1, coll. La Question de Palestine, Éditions Fayard, 1999, 722 pages.

4 Voir Henry Laurens, L'Orient arabe, arabisme et islamisme de 1798 à 1945, Éditions Armand Colin, 2000, 331 pages.

التي أعلن الإمبراطور عن إنشائها في ١٧ سبتمبر ١٨٦٠ في الجزائر العاصمة. والتي لم ترَ أبداً النور.

بعد القتال العنيف ضد مستعمر الجزائر، وإقامته الجبرية في فرنسا، ثم تدخله الشجاع لصالح مسيحيي دمشق الموارنة، الذين وقعوا فريسة لغضب الدروز المتعصبين في جبل لبنان، استطاع عبد القادر تكريس حياته بالكامل له. الالتزام الروحي الذي يقوم على الصوفية ثم الماسونية، بالإضافة إلى نشاطه في الكتابة والتدريس. وفقاً لبرونو إتيان، قال لزواره "كما ترون في مرآة محادثتنا، لم أولد لأكون محارباً [...] ولم أتوقف أبداً عن الدعاء إلى الله للسماح لي بالعودة إلى ما أجدد القيام به".

ولد عبد القادر في عام ١٨٠٨ لعائلة شديدة التدين، وانتمى بتأثير والده إلى ثلاثة أخوية صوفية: القادرية والنقشبندية والشاذلية. هذا الأب أيضاً يحمل الاسم الأول للملمم الصوفي العظيم، محي الدين^٥ وقد تبنى الأمير كمثاله الفكري ابن عربي (١١٦٥-١٢٤٠)، مؤلف العمل التأسيسي للصوفية، "رسالة في الحب"، حيث يقول: مصطلح الحب في الإنسان / هو تحقيق الاتحاد: / اتحاد عقليين / واتحاد جسدين. / لكن الرغبة في النهاية / الاتحاد بالرحيم / لا يمكن إلا أن تكون نتيجة / تدنيس المقدسات الخالص^٦. وكما أشرنا في مكان آخر، "طُور ابن عربي، العربي الأندلسي (١١٦٥-١٢٤٠)، على مدار عمل عملاق، الفكر الباطني للصوفية مجسداً الطريقة الغنوصية أو الميتافيزيقية لهذا الأخير. على عكس ابن رشد، لم يرسم أي خط بين الإيمان والعقل. مثل الجوهرة في قاع البئر، فهو يعتبر الله "كنزاً مخفياً" خلق البشر ليكشفوا، كائناتاً مطلقاً يشترط وجود جميع الكائنات المحتملة. ويولي اهتماماً خاصاً للفكر الرمزي للأحرف الأولى التي تظهر في بداية كل سورة من القرآن^٨. بالنسبة لابن عربي، فإن الرجل الذي يتابع عملاً متواصلاً بنفسه يقترب من كمال الخليفة التي أنجزها الله. في دمشق، يقيم عبد القادر في المنزل الذي كان يعيش فيه ابن عربي ودفن بجانبه حتى عودة رفاته إلى الجزائر في عام ١٩٦٦.

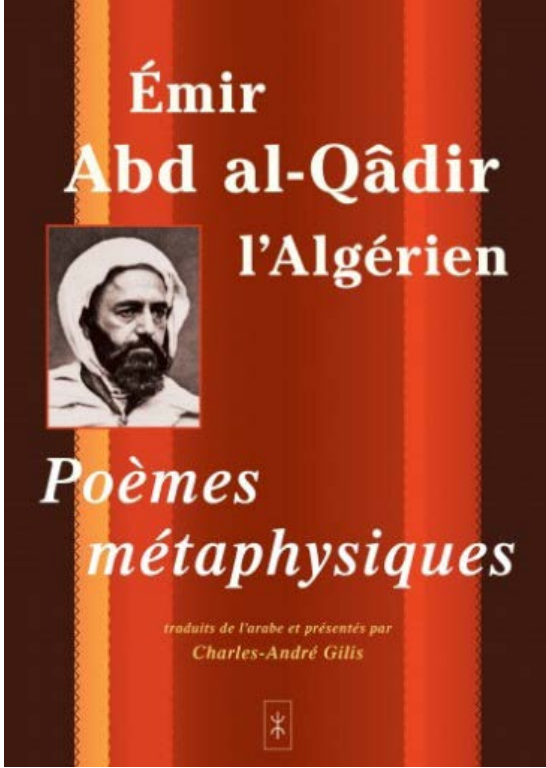
في أعقاب الحلقة المأساوية للاشتباكات بين الإسماعيليين الدروز والمسيحيين الموارنة في دمشق خلال صيف عام ١٨٦٠، أعجب

5 Voir Bruno Étienne, Abdelkader (1807-1882) notre frère l'émir, in La Chaîne d'union, n° 44, 2008, pages 58 à 67.

6 هذا الاسم يعني تقريباً رجل دين.

7 Voir Ibn Arabi, Traité de l'amour, trad. et préface Maurice Gloton, Éditions Albin Michel, 1986, 314 pages.

8 Voir Éric Geoffroy, Le Soufisme, Éditions Eyrolles, Paris, 2013, et Dominique Goussot, Les Travaux du point du jour-Propos d'un enfant de la Veuve, Éditions Théolib, 2021.



قصائد ميتافيزيقية - إصدارات عبد القادر Le Turban noir

الماسونيون من الشرق الكبير لفرنسا بشجاعته وروحه الأخوية الحقيقية، ولا سيما الأخ Pilastre من اللوج الماسوني "الحقيقة" واللوجات "الصدقة الفعلية" ولوج هنري الرابع Pilastre of the Truth lodge، ثم الصداقة الصادقة ونزل هنري الرابع - هذه الأخيرة التي تشير إلى أن أبناء الأرملة يعملون تحت رعاية مهندس الكون العظيم (جادلو)، أي "الله الذي نعبده جميعاً" - جميع هؤلاء دعوا عبد القادر للانضمام إلى مركزهم الماسوني التأهيلي الذي سرعان ما رأى أنه طريقة غريبة للحكمة رغم وجود مؤيدي استعمار الجزائر في ورش العمل. في ١٨ حزيران ١٨٦٤، وافق الأمير الصوفي على الانخراط في لوج Les Pyramides à l'Orient الخاص بالإسكندرية^٩. وأصبح أربعة من أبنائه أيضاً ماسونيين، في لوج (مراكز) La Palestine de Beyrouth و La Lumière de Damas وكذلك لوج المراتب العليا Les Admirateurs de l'Univers الخاص بباريس.

في عمله^{١١} Le Mystère Abd El-Kader، يستحضر تييري زاركون المثلث المشترك للصوفي والماسوني الذي تم تحليله في مجلة دفاتر Cahiers Villard de Honnecourt المكرس للإسلام: "...

9 سيتوقف المشرق الكبير في فرنسا Grand Orient de France عن مطالبة المحافل بالاجتماع تحت رعاية جادلو في الدير عام 1877.

10 Voir Bruno Étienne, Encyclopédie de la Franc-maçonnerie, article Abdelkader, coll. La Pochothèque, Éditions Librairie générale française, 2000, page 1

11 Voir Thierry Zarcone, Le Mystère Abd el-Kader, Éditions du Cerf, 2019, page 161.



يعتبر ابن عربي (١١٦٥-١٢٤٠) دكتوراً في العلوم الإسلامية، ولكنه أيضاً شاعر وفيلسوف، المحور المركزي للفكر الميتافيزيقي للإسلام.

الأخير يستحق التأهل. يخبرنا عبد القادر عن معاناة الحب وأفراحه: "أنا أعاقبها، هي تستهزئ بي ؛ / أطلب تبادل الكلام. / ترفض طلبي. / ثم تلومني. / ثم يفرح القلب / واللوم يطفئ حروقي. وهذا بلا شك هو سبب كتابة آرثر رامبو Arthur Rimbaud ، البالغ من العمر أربعة عشر عاماً، قصيدته الأولى، يوغرطة Jugurtha ، في عام ١٨٦٩، تكريماً للأمير: "ولد طفل كبير في جبال شبه الجزيرة العربية."

دومينيك غوسو Dominique Goussot

هو نائب رئيس الفدرالية الوطنية للفكر الحر في فرنسا.

الصوفي مثل الماسوني هو ينتمي للفلسفة الدينية لأنه يسعى الى حكمة الله. إنه معرّف لأنه يعتقد أنه يستطيع الوصول إلى الله (الحقيقة) من خلال المعرفة وهذه المعرفة تمر عبر الباطنية [...] ¹²

من عام ١٨٥٥ إلى ١٨٨٣، كرّس عبد القادر، بصفته معلماً صوفياً، تلميذا لابن عربي مع فاصل دفاعه عن المسيحيين الموارنة في دمشق الذين طاردهم دروز جبل لبنان في صيف عام ١٨٦٠ كرّسس نشاطه لتدريس "التصوف"، وهي ممارسة للإسلام تقوم على التطور الروحي للمؤمن. وقد تم تسجيل ثمار هذا التعليم في عمل كبير بعنوان "كتاب المواقف" ¹³، وهو مجموعة من الأقوال التي تدعو إلى التأمل. تقدم بعض هذه الأقوال نظرة عامة على محتوى عمل عبد القادر اللاهوتيانا الغير تقليدي، وتارة قريب من شكل من أشكال الروحانية الماسونية: "لقد أخذني الله من ذاتي؛" "فماذا خسر من وجدك [الله]؟"؛ "هذه الرموز [...] يفهمونها فقط من يعرفونها.؛" "ضوء على الضوء."

عبد القادر شاعر أيضاً. تقدم منشورات du Turban noir مجموعة أعماله: "قصائد محارب كان أيضاً قديساً. قصائد الحرب؟ نعم، ولكن الحرب الداخلية والروحية. قصائد الموت؟ نعم، ولكن الموت الأولي. قصائد الحب المجنون؟ نعم، لكن الحب الإلهي والمجنون قريب من مصدر الحكمة. هذا التأكيد

12 Bertrand Heyraud, Entre Asie et Occident, entre soufisme et maçonnerie, in Cahiers Villard de Honnecourt, n° 75, 2010.

13 Voir Le Livre des Haltes, trad. Michel Lagarde, tomes 1, 2 et 3, Éditions Brill, 2000.

مقابلة مع بهار كيميونغور



بهار كيميونغور، صحفي وناشط بلجيكي ولد في تركيا الحالية وحياته مهددة. نشر في ٢٠٢١: "بيركليجا - المعارضة اللاهوتية والثورة الاجتماعية في الإمبراطورية العثمانية في القرن الخامس عشر". منشورات « Les Indes savantes »

غالبا يوضع المسلمون والمسيحيون واليهود في تعارض بين بعضهم. لكن هكذا ينسون نصف الإنسانية الذي لا يعترف في أي من هذه الطوائف. وبالإضافة الى ذلك فإنه يقوم على فرضية مشكوك فيها للغاية: وهي التفرد المطلق للدين الإسلامي مقابل الديانتين الأخريين المذكورين هنا. ومع ذلك، دون النظر إلى أصل التوحيد الإسلامي، نكتشف في هذا الكتاب أنه في القرن الخامس عشر، مساء ٨٠٠ عام بعد الهجرة، حصل تمرد للفلاحين الفقراء بطريقة منسقة تماماً في مناطق إزمير (تركيا) واليونان وبلغاريا. قاد هذه الثورة الدراويش والمتصوفون الدينيون الذين كانوا ينتمون للقرآن وكذلك اليهودية وأحياناً المسيحية. الظروف المشددة، والملفت أن بعضهم ينتمي إلى التقليد الإثني عشري (تقليد الأئمة الاثني عشر) الذي ينبع منه التشيع الإيراني أيضاً.

هذا هو المشهد الذي يرسمه بهار كيميونغور، الصحفي والناشط البلجيكي الذي تنحدر عائلته من هذا الجزء من تركيا المجاور لسوريا، والتي هي قريبة تاريخياً منها.

يأتي هذا الكتاب الصغير الكثيف للغاية في الوقت المناسب حيث تضع الفدرالية الدولية للفكر الحر للتو، بمناسبة مؤتمرها في مدريد، أسس "الدائرة التفسيرية الدولية".

ميشيل غوديشو

Michel Godicheau

الفكرة الحرة: لقد ربطت بين مقارنة الشيخ بدر الدين ومقاربة سبينوزا: هذه علاقة تثير اهتمام المفكرين الأحرار.

بهار كيمونغور: سأل الشيخ بدر الدين نفسه عن نفس الأسئلة حول الله والجنة والنار التي سأها باروخ سبينوزا قبل ٢٥٠ عاماً تقريباً من الفيلسوف اليهودي البرتغالي.

إذا لم تتوصل هاتان الشخصيتان إلى نفس النتيجة في مسيرتهما الفلسفية، فإنهما مع ذلك قد ساهما في تطوير النقاش الفكري داخل دياناتهما.

في "Vâridat"، يعرض بدر الدين رؤيته لوحدة الوجود (Vahdet-i Vücut وفقاً للتهجئة التركية الحديثة) أو "وحدة الوجود" الموروثة عن ابن عربي، الفيلسوف العربي الذي عاش قبله بقرنين من الزمان. هو يفترض أن الله جسم واحد مكون من كل جسيم في الكون. هذا المفهوم المادي بامتياز عن الإله يذكرنا بإله الطبيعة لسبينوزا.

الفكرة الحرة: ما يجري في العمق، من Cap Noir في تركيا إلى Serres في اليونان، يختلف تماماً عما نراه على السطح. أظن أن نفس الشيء يحصل في طرابلس في لبنان. قد يفاجأ القارئ برؤية أن المظاهر الحية لفلسفات و دراويش القرن الخامس عشر لا تزال موجودة خارج القوميتين اليونانية والبلغارية المعاصرة أو العثمانية الجديدة لرجب طيب أردوغان: هل هو تاريخ عائلتك الذي اقترح عليك هذه الدراسة؟

بهار كيمونغور: تاريخ عائلتي وأصولي، بلا شك لها علاقة بتوجهي. والداي وجميع أسلافي هم جزء من مجتمع غير تقليدي وسري للغاية من العلويين الذين يسكنون ساحل بلاد الشام من جنوب تركيا إلى شمال لبنان. نظراً لأن العلويين يتميزون بتوليف بين الإسلام الشيعي والمسيحية البيزنطية وديانات العصور القديمة، فإن مرونة أتباعها العقائدية تسمح لهم بالعيش في وئام مع جميع الطوائف العرقية والطائفية الأخرى الموجودة في منطقتهم التاريخية. على الجانب التركي، تقع منطقة استيطانهم الرئيسية في هاتاي، التي ينتمي إليها والداي. اليوم هي المقاطعة التركية حيث لا يزال يعيش أكبر عدد من السكان الأصليين غير المسلمين. هناك مجتمع يهودي صغير، والعديد من المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس وحتى فافكيغلي، القرية الأرمنية الوحيدة في البلاد. عبر اكتشاف الفكر العلوي الذي لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال "طقوس العبور" السرية، أصبحت مهتماً بأشكال أخرى من الأفكار المختلفة العرقية والسياسية والمذهبية في المنطقة.

إن دراويش ساحل بحر إيجه والبلقان، المعروفين بإقامة الجسور على الخطوط الفاصلة بين العالمين الإسلامي والمسيحي، كان لهم تأثير كبير علي.

لكن أصل عائلتي لا يكفي لشرح خيارتي لكتابة "بيرسليجا" «Percligia». إذا كان شغفي بالحضارات القديمة قد مكنتني من الحصول على شهادة في تاريخ الفن وعالم الآثار، فقد فتح عيني أيضاً على فترات أخرى من التاريخ، ولا سيما العصور الوسطى. دون أن ننسى الحافز الثالث: أصولي وحساسيتي الاجتماعية. نحن نربط دائماً الحضارات القديمة بالقصور والكنوز والأثاث ومقابر الكبار. غالباً ما يكون تاريخ الفلاحين والعبيد والمتمردين أقل شهرة لأنه أقل إثارة على المستوى المادي والجمالي، تماماً كما يجب ذكر تقصير المؤرخين "الرسميين" في فترات مختلفة. وُلد بيرسليجا من رغبتني في إعادة تأهيل التاريخ العظيم الذي صنعه صغار الناس.



بيرسليجا بقلم بهار كيمونغور (Learned Indies Ed). يُكتب التاريخ الرسمي لجمهورية تركيا بشكل عام لمجد قادتها. لكن هناك أيضاً قصة أخرى تركية وعالمية في الوقت نفسه..

الفكرة الحرة: إن أحد جوانب تشكيل هذا الرابط المستعاد من الخطوط المنقططة الهشة أحيانا بين بيركليجيا وبدرالدين وكمال التورلاك هو الإشارة إلى القديسين المسيحيين الأوائل (القديس جورج ...)، ولكن أيضا إلى الأثني عشرية، على الرغم من أن المذهب الشيعي يعتبر عقيدة قام ببنائها جهاز ديني في جوانب معينة مماثلة لتلك الخاصة بالكاثوليكية الرومانية. أليس هذا متناقضا؟

مع ذلك، فإن الاختلافات العقائدية بين المفكرين متعددة. عند بدرالدين، تتميز القطيعة مع العقيدة الدينية بتفسيره الباطني للظاهرة الإلهية.

علاوة على ذلك، بصفته عضواً من المؤسسة الدينية لم يخالف بدرالدين تماماً الفقه الإسلامي. مسيرته أقرب إلى عالم الفقه من الفيلسوف الغزالي.

بهار كيمنونفور: التشيع هو في أساس معترض ورافض. شيع يعني "الحزبي"، وهو حزب الانشقاق والعصيان ضد الأرستقراطية الدمشقية و"المغتصبين" الذين استولوا على السلطة السياسية وحكموا المسلمين بعد وفاة محمد. قُتل الحسين بن علي ونسله على مدى عشرة أجيال على يد مسلمين موالين للسلالة الأموية.

ما يجعل بدر الدين شخصية غير عادية ليس مجرد عمله الفلسفي الذي يحمل عنوان "فاريديات". إنها أفعاله: انفتاحه على العالم المسيحي، وتضامنه مع السكان العلويين، وعلاقاته مع الدراويش الرافضين للهيمنة العثمانية وبقيادة المتمردين، ثم نفيه في إزنيق لوقوفه إلى جانب السلطان موسى جلبي خلال الفترة بين الحرب الأهلية العثمانية وإعدامه في سيريس بداعي الهرطقة والتمرد.



الخط الذي يعيد إنتاج اسم الله في الوسط وحول اسم الأئمة الاثني عشر الذين يستند اليهم المذهب الشيعي الاثني عشري.



© AFP Archives

اشتباكات بين سكان غازي والجيش في ١٣ مارس/آذار ١٩٩٥. وفي ١٢ مارس/آذار ١٩٩٥، في إسطنبول، هاجم رجال الميليشيات القومية المتطرفة حي غازي الذي تسكنه الطبقة العاملة، حيث يعيش العديد من الأكراد العلويين. وتجمع السكان أثناء الليل للتنديد بتقاعس الشرطة. وأدى القمع العنيف إلى مقتل ٢٣ شخصاً وإصابة المئات.

يدعو المذهب الشيعي إلى النقد، بما في ذلك النصوص المقدسة. وهذا ما يسمى باللغة العربية "الاجتهاد". من خلال رفع تحريم الخضوع الأعمى، فإنه يسمح للمجتمعات الشيعية بالتفكير خارج الإسلام. أكسبته عبادته للأيقونات والقديسين تهمة "الشرك بالله" واضطهاد الراديكاليين السنة له من العراق إلى أفغانستان. قبل الثورة الإيرانية، انخرط الشيعة بشكل كبير في الأحزاب الشيوعية عن طريق القياس العقائدي ولأسباب اجتماعية وثقافية، وكان الشيعة في كثير من الأحيان في أسفل السلم الاجتماعي في المجتمع العربي أو في منطقة البشتون. لدرجة أن المسلمين السنة الأرثوذكس ربطوا كلمة "شيعة" (الشيعة) بكلمة "شيوا" التي تعني "الشيوعية" باللغة العربية.

الفكرة الحرة: إن النبع الرئيسي لثورات الفلاحين والدراويش التي ميزت هذه الفترة هو في آن واحد فلسفي وديني واجتماعي. يقوم الناشط الذي فيك بقفزات خطيرة في الزمن لتخيل الحلول الجماعية التي تم استكشافها جزئياً (وهذا هو مشروع هذا العدد من Idée Libre الذي شاركت به بطريقتك الخاصة. بصرف النظر عن تهديدات أردوغان المباشرة الخطيرة لك، هل تبدو هذه "العودة إلى الأساسيات" حساسة بالنسبة لك اليوم؟

بهار كيمونغور: دعوتي لاكتشاف الفلاحين الأتراك المتمردين في العصور الوسطى هي رد متواضع على الحملة العملاقة لإعادة تأهيل الإمبراطورية العثمانية بقيادة أردوغان الذي يحن إلى الخلافة والفتوحات العسكرية. هذا الكتاب هو ملخص لاستكشاف الصراع الاجتماعي ومعركة الأفكار التي عارضت النخب والهيمنة منذ ما يقرب من ستمائة عام. بدون ادعاء تقديم بديل للمجتمع التركي الحالي، أنا مكتف بوصف حلقة من تاريخ العصور الوسطى لا تزال حالية بشكل لا يصدق. إن أي خصم تركي يقع فريسة لقمع نظام أردوغان يتماهى حتماً مع بدر الدين وبرجليجا وكمال التورلاك وآلاف السجناء الذين أعدموا في أفسس. في تركيا اليوم، الرقابة تضرب "الزنادقة"، والسجون أماكن للموت، وطرق النفي والهجرة لا تجف أبداً، ويموت الناس دائماً من أجل الأفكار.

يتميز التشيع الإيراني عن غيره من أشكال التشيع خاصة أنه يرتدي زي ديانة الدولة. لقد أصبح قمعيّاً خلال ثلاثة وأربعين عاماً من ممارسة السلطة والعسكرة والبيروقراطية والتصلب العقائدي.

مرآة للمجتمع الرجل التركي التقليدي، فإن العلوية التركية على العكس من ذلك ترفض جميع أشكال المركزية والتسلسل الهرمي الديني. انفصلت عن الشيعة الإيرانية قبل عدة قرون وحافظت على نفسها من الإمبريالية الثقافية العربية. نشرها التروبادور المسمين "أشيك" (والذي يعني أساساً "الحب")، واتخذت توجهها غنائياً وصوفياً. واليوم، فإن لاهوتها التحريري، الذي شكل استشهاد كربلاء عام ٦٨٠ حدثاً مؤسسياً مشتركاً بين جميع الشيعة، هو استراتيجية بقاء أكثر منها غزو. على الرغم من إنتماهم الشيعي، فإن العلويين في تركيا، الدولة ذات الأغلبية السنية، يفضلون إلى حد بعيد العلمانية التركية لمصطفى كمال على الشيعة الإيرانية. لا ترتدي المرأة العلوية الشادور أو الحجاب. بالفعل، في القرن الخامس عشر، عندما واجهت السلطة العثمانية السنية تمرد الفلاحين بقيادة بيرسليجا، كان تشيع المتمردين الأتراك بدائياً، قليل التقنين (أي القواعد)، مثل المجتمع التركي شبه الرجل، غارق في الشامانية والتقاليد.

الانتخابات في لبنان عام ٢٠٢٢

كريم حيدر KARIM HAIDAR

الانتخابات في لبنان طقس غريب، ولو أنه عادةً ما يتم الاحتفاء بها باعتبارها واحدة من أكثر الانتخابات شفافية في منطقة الشرق الأوسط. منذ انتهاء الحرب الأهلية حتى اليوم، لم تنتج الانتخابات التشريعية اللبنانية أي تغيير ملحوظ في توزيع المقاعد، والملفت الأكثر، أنه لم ينتج عن الانتخابات ائتلاف أغلبية قادر على تشكيل حكومة غالبية. ففي نفس هذه الفترة، كانت أغلب التغييرات المفصلية في المشهد السياسي اللبناني تحدث خارج قاعات البرلمان نتيجة تدخل خارجي (أكان عن طريق تلاعبٍ بسعر الصرف - كما حدث في التسعينات، أو اغتيالاتٍ أو نزاعاتٍ عسكرية كما في مايو من عام ٢٠٠٨. وهنا يجب الإشارة إلى التناقض الذي يعتري وهم الانتخابات.

على غرار كل الطقوس العامة، منها العروض العسكرية واحتفالات العيد الوطني، الانتخابات ما هي إلا مظهر لسلطة الدولة. وبذلك يكون تعبير الناخبين عن تفضيلاتهم مواقفهم عبر الانتخابات هو نتيجة مباشرة للسلطة التي تمارسها الدولة على المجتمع. ولذا ينال من في السلطة أفضلية على المعارضة خلال الانتخابات - إدارة إفلاس كهرباء فرنسا هو مثال بارز على ذلك.

في حالة لبنان، يخلق غياب الدولة رؤيةً مشوهة عن ماهية المواطنة وكيفية تنظيم الانتخابات. فبموجب القانون اللبناني، لا يمكن للنساء أن يمنحن الجنسية اللبنانية لأطفالهن، كما لا يمكن للمقيمين الأجانب أن يحصلوا على حق التصويت، وتعتمد التسجيل في قوائم الناخبين على مكان ولادة الأب بدلاً من مكان الإقامة وعلى هذا المنوال، تتحدد نتائج الانتخابات بشكل كبير بتصميم القانون الانتخابي وتوزيع المقاعد البرلمانية مشياً بالتمثيل الطائفي والجغرافي. كما تقود التسويات السياسية والتوافقات بين الطوائف في كثير من الأحيان إلى حصر المنافسة بمقاعد محددة. وقد يظن القارئ أن هذه القيود المذكورة أعلاه ستؤدي إلى تقليص معدلات المشاركة في الانتخابات، إنما على العكس، فمعدل المشاركة في عام ٢٠١٨ كان ملحوظاً بلغ نسبة ٨٠٪ من السكان المؤهلين للتصويت.

وهذا يقودنا إلى التساؤل: لماذا ينظم لبنان انتخابات نيابية؟ ولماذا يشارك اللبنانيون فيما يعلمون أن نتائجها، وإلى حد كبير، محددة سلفاً؟

هذه الأسئلة، التي قد تبدو بديهية للوهلة الأولى، تصبح في ضوء ما ذكرناه في الأعلى مشروعة، وخاصة عند تمديد مجلس النواب اللبناني ثلاث مرات بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠٢٠ تحت ذرائع مختلفة دون أي تأثير احتجاجات شعبية.

للإجابة على هذه الأسئلة، من الأساسي الانطلاق من تحديد هياكل السلطة في لبنان. بموجب وثيقة الوفاق الوطني اللبناني ١٩٨٩، أي اتفاق الطائف، أنهيت الحرب بين الأطراف المتنازعة في لبنان، وعليها أيضاً تمت المؤسسة الطائفية. من الجليّ إذًا أن الطائفية، لم تكن يوماً أداة استخدمها زعماء الطوائف لتعزيز سلطتهم ولا نتيجة تقسيم فرضته القوى الأجنبية خلال الحرب، بل تخدم في خلق حسّ تضامن عصبي. وعلى الرغم من أن توزيع المناصب العامة على أساس طائفي يعود إلى سنة ١٨٦٠ إلا أنه لم يتم مؤسسة الطوائف حينها. فقبل الحرب الأهلية



إن تطور الدولة ليس أمراً مؤكداً، وعلى عكس ما يشير به الاقتصاد الكلاسيكي الجديد، يمكن للمجتمعات البقاء على قيد الحياة بدون دولة ولكن في كثير من الأحيان في ظروف كارثية كما هو الحال في لبنان.

الغريبة! أزمة لبنان اليوم ناتجة عن غياب الدولة، أما الانهيار الاقتصادي والنزيف الديموغرافي الذي أصاب المجتمع منذ انتهاء الحرب الأهلية ما هو إلا تجلي مفاعيل هذه الأزمة.

لماذا ينظم زعماء الطوائف الانتخابات في لبنان؟ ولماذا ذهبوا لإجراء انتخابات عام ٢٠٢٢؟

أشعل قرار حكومة سعد الحريري احتجاجات تشرين ٢٠١٩، بعد أن قضى بفرض ضريبة على مكالمات تطبيق الواتس آب المجانية. استمرت الاحتجاجات شهور فرضت خلالها قيود - غير معلنة - على السحوبات المصرفية وشهد البلد شحا في الوقود وانفلات سعر الصرف الذي كان قد تم تثبيتته منذ التسعينات. ونلاحظ أن الاحتجاجات كانت، في أغلبها، غير منظمة وأتت كردة فعل على تعطل الوضع القائم وليس نضالاً يسعى إلى تحقيق تغيير جذري. ومع ذلك خلقت الاحتجاجات مساحة للعمل السياسي كان قد أهمل في مرحلة ما بعد الحرب، بالإضافة إلى استحوادها، ولو مؤقتاً، على وسط المدينة جاعلةً منه مساحة للتعبير السياسي (قد يبدو الأخير بديها، ولكن يجدر التوقف عنده لعدم توقّر مساحات عامة في بيروت.

في مواجهة الغضب العام، أعاد زعماء الطوائف تنظيم أنفسهم باحثين عن الفرصة السانحة. من جهة تموضع ما تبقى من قوى ١٤ آذار كمعارضين للسلطة التي كانوا جزءاً منها. من جهة أخرى، صُنّفت قوى ٨ آذار الاحتجاجات مؤامرة خارجية تستهدف إلى زعزعة استقرار البلاد؛ وقاد حزب الله وحركة أمل حملات تخويف ضد المتظاهرين.

تزايدت المجموعات المعارضة ضمن الفضاء الذي خلفته احتجاجات تشرين ٢٠١٩ مستغلةً الاهتمام الجديد بالعمل السياسي، البعض بدافع للحصول على مقاعد سياسية وآخرون سعوا لإفشال العمل السياسي. والجامع بين كل هذه الحركات

كانت الدولة حاضرة (بهاكلها مؤسساتها وبأدائها لوظائفها)، ولم يكن التأييد السياسي للمواطنين اللبنانيين يتبع انتسابهم الطائفي. شكلت الميليشيات الطائفية سلطات محلية ملء الفراغ الناتج عن سقوط الدولة اللبنانية في نهاية الثمانينات، حتى دُمجت مع القطاع العام بعد اتفاق الطائف. وبهذا خلع أمراء الحرب الزي العسكري واستعدوا لأداء دورهم الجديد كسياسيين. فأصبح لكل طائفة نظام تعليمي منفصل وخدمات صحية وممثلين، وباتت الطوائف هي المنظم الأساسي للمجتمع، وقد استفاد أفرادها من فوائد مذهشة على شكل أمشاط استهلاك مضطردة استمرت حتى الإفلاس المالي عام ٢٠١٩. لم يبقَ من الدولة تحت يد كارتيلات الطوائف إلا واجهة مؤسسات عامة فاقدة للسلطة، استخدمت كآلية لإعادة التوزيع والاستئذان السيادي.

نتيجة ذلك، أصبح مصدر السلطة في لبنان عند الطوائف وخارج المؤسسات العامة. وعليه لا تعكس عملية الانتخابات اللبنانية تفضيلات الناخبين لتوزيع السلطة - وإن لا ينفرد لبنان في هذه الظاهرة، ونذكر المجمع الانتخابي في الولايات المتحدة كمثال فاعل لتفويض النخب للاتجاهات الانتخابية. في لبنان تكون المنافسة في الانتخابات اللبنانية بين النخب المحلية على المستوى الوطني، فيقوم الأفراد المنتسبين لكل طائفة بتفويض زعمائهم لمواجهة الطوائف الأخرى. ويدخل التضامن العسبوي ليجعل التصويت واجباً على الأفراد المنتسبين للطائفة. وهذا لا ينفي طبعاً أن سلطة زعيم الطائفة قد تنزعز مهددةً نسب المشاركة ضمن طائفته، فيلجأ عند استشهاده بذلك، إلى إعادة التوزيع والتي تأخذ أشكالاً مختلفة؛ فمثلاً أظهرت أبحاث الاقتصاديين "إسحاق ديوان" و"جمال حيدر" أن نسبة التوظيف في القطاعين العام والخاص تزيد في الفترات التي تسبق الانتخابات في لبنان.

الطائفة بطبيعتها هي إحدى أشكال التضامن العسبوي، يعززها إشارة الخوف من كل ما هو خارجي. فمن المجدي إذا النظر في الخطابات السياسية في الفترة التي تسبق الانتخابات والتي تلحقها، بهدف لاحظ تأثيراتها المدمرة. وشهدت انتخابات ٢٠٢٢ اشتباكات عرضية بين الأحزاب وتحذيرات من مؤامرات واتهامات بالخيانة لأفراد الطائفة الذين لا يؤيدون الحزب المهيمن. بالتالي لا تعكس نسبة المشاركة المرتفعة في انتخابات ٢٠١٨ إلا نتائج إعادة التوزيع والحوافز الطائفية. وهذا نفسه ينقض المقولة التي تزعم أن الأزمة اللبنانية هي نتيجة فساد وشخصيات يجب استبدالها. في الواقع، يتمتع السياسيون اللبنانيون بتفويض شعبي أكثر "تمثيلاً" من معظم المسؤولين المنتخبين في الدول



مقاتلون من حزب الله الشيعي اللبناني، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٩. الفراغ الذي خلفه سقوط الدولة اللبنانية في أواخر الثمانينات، ملأته الميليشيات الطائفية التي كانت تسيطر على البلاد.

الطوائف؛ هذا التباين سرعان ما حوّل وبدل المشهد السياسي، فغاب عن النقاش ما كانت تطرحه الاحتجاجات عن دور المصارف اللبنانية (البنك المركزي) كمضخة للدين بعد الحرب الأهلية، كما انقسم الجمهور بين مؤيد ومعارض لتنظيم حزب الله العسكري.

هذا التحول في الساحة السياسية أعد الأرضية لانتخابات ٢٠٢٢ التي كانت نقطة محطة توافق نادرة بين أطراف السلطة والمعارضة؛ طالبت بعض مجموعات المعارضة بإجراء الانتخابات أملاً منها بتحصيل مقاعد نيابية، فيما نظم زعماء الطوائف الانتخابات بعد أن رأوا فيها فرصة سانحة تتيح لهم إعادة تثبيت أسس النظام في وجه الأزمات القادمة. ولذا فإن إجراء الانتخابات هو بعد ذاته هزيمة في مسار التغيير، فالسلطة لم تكن لتنظم الانتخابات لولا تيقنها من أن الكفة ستروح لمصلحتها.

في مواجهة هذه التطورات، ذهب الكثير من المجموعات إلى قياس خيار المشاركة على أساس إمكانية تحصيل مقاعد انتخابية، وعليه تشكلت الائتلافات واللوائح على هذا المقياس فقط، فتحت عنها العديد من اللوائح الممزقة جمعت بين جماعات علمانية معارضة وحركات إسلامية وبين مرشحين دعموا مقاضاة المصارف مع آخرين ممولين منها وبين أحزاب تقدمية مع شخصيات إقطاعية.

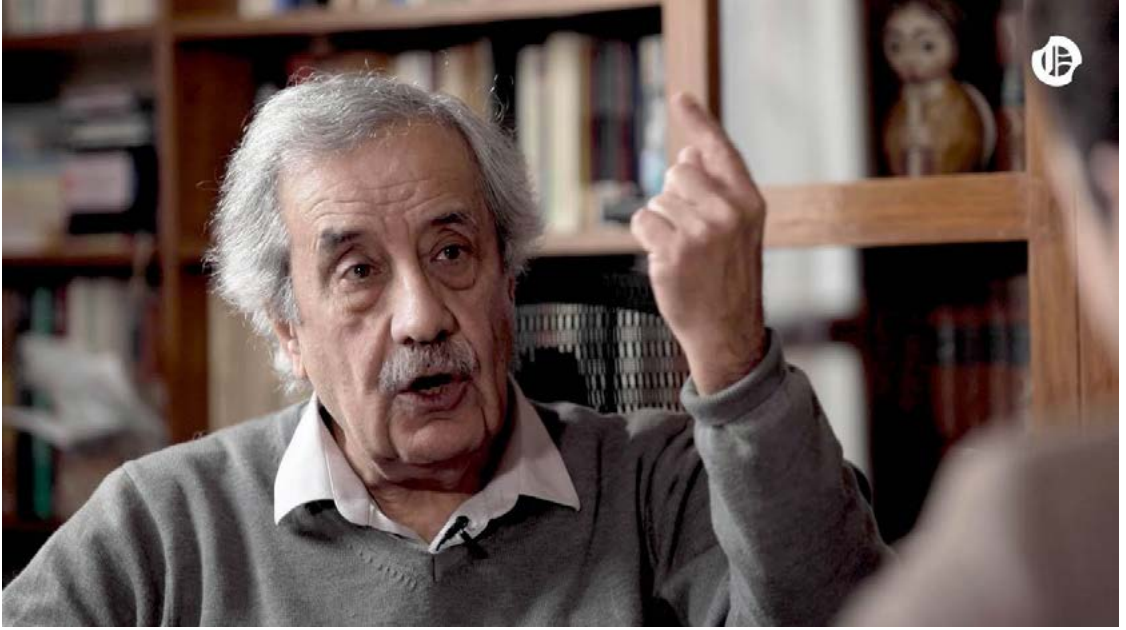
على المقلب الآخر، خاضت "حركة مواطنون ومواطنات في دولة" تجربة الانتخابات باعتبارها ساحة لمواجهة مساعي السلطة وليس مدخلاً لتغيير النظام؛ لذا لم يكن مقياس المشاركة في الانتخابات هو احتمالية تحصيل مقاعد نيابية - قد لا تتعدى

هو أولاً غياب خطة سياسية أو اقتصادية والمرهنة على الانتخابات لتغيير النظام.

وحتى اليوم، تبقى حركة "مواطنون ومواطنات في دولة" هي الوحيدة التي تطرح مشروعاً سياسياً اقتصادياً للبنان. بينما تدور أغلب الانتقادات حول ميل الحركة للراдикаلية وعدم واقعية أهدافها واتهامها بـ "الشيوعية"، على الرغم من أن طرحها يعد ثورياً فقط ضمن المقياس اللبناني. بعد ثلاثين عاماً على تنظيم المجتمع على أساس طائفي، يعد أي مظهر لسلطة الدولة، سواء من جباية الضرائب أو سياسات العامة، على أنه ديكتاتوري وجامد.

هذا الطرح، المفصل في كتاب "اقتصاد ودولة لبنان"، هو الخيار الوحيد القابل للتطبيق في لبنان، ولا نصف هنا "صوابية" الخيارات الاقتصادية، بل نقصد أن تفرده يأتي من لحظ أهمية بناء دولة في لبنان، علماً أن المجتمعات قد تستمر في تنظيم نفسها في ضمن أطر ما دون الدولة، كما هو الحال في لبنان. الوصول إلى إنشاء دولة ليس أمراً حتمياً، على عكس ما يروج له النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية، يمكن للمجتمعات أن تستمر بالبقاء بدون دولة، ولكن غالباً ما يكون ذلك في ظروف كارثية كما هو الحال في لبنان. كل ما حدث في لبنان طوال فترة ما بعد الحرب وبعد الأزمة هو نتيجة لغياب الدولة. الطريقة الوحيدة لعكس هذا الواقع هو بناء دولة، وهذا هو جوهر طرح "مواطنون ومواطنات في دولة".

اختلفت أطراف المعارضة في تشخيصها للأزمة وتباينت مواقفهم بشكل أكبر حول خطة عمل تهدف إلى إعادة تنظيم زعماء



شربل نحاس، وزير العمل السابق والأمين العام لحركة MMFD (مواطن في دولة) عام ٢٠١٦.

والآن، ماذا؟

لم يمحُض على انهيار المصارف وانفجار مرفأ بيروت إلا بضعة سنوات، حين حصل زعماء الطوائف على ٩٠٪ من الأصوات، وهم الذين توالوا مسؤولية حكم البلاد خلال الثلاثين السنة الفائتة. وبالتالي، خدمت الانتخابات الهدف الاستراتيجي الذي أراد النظام الطائفي تحقيقه؛ سيما أنه لا بؤادر لمعارضة حقيقية أو انشقاق شعبي، تحسباً لتهور الظروف المعيشية في المستقبل.

يراهن زعماء الطوائف على الهجرة الكثيفة للمواطنين والمواطنات من أجل تقليص الطلب المحلي لإدارة المجتمع بأقل تكلفة، بانتظار ترتيب خارجي يضخ دولاراً في المصارف لإعادة إنعاش هذا النظام. إنما لسوء الحظ، حتى هذا الترتيب المتواضع قد يكون صعب المنال... فما يجهله زعماء الطوائف أن مشهد الإقليمي الدائم التغيير قد لا يتقاطع مع مشاريعهم. فنظام ما بعد الحرب اعتمد على الدين السيادي لتغذية التوزيع وعملة ذات قدرة شرائية مصطنعة وهجرة منظمة للقوى العاملة تقلل من الضغط الاجتماعي عبر خلق فرص عمل وتأمين مصدر للتدفقات المالية على شكل ودائع مصرفية وتحويلات مالية؛ أما اليوم تواجه الدول الأجنبية، التي لطالما رُحبت تاريخياً بالعاملين اللبنانيين، صعوبات هيكلية خاصة بها، أما في الداخل فقد فقدت المصارف التي جذبت أموال الوافدين بفوائدها المرتفعة أحد أهم أصولها، وهو مصداقيتها بين هؤلاء. الأشخاص تكشف انتخابات عام ٢٠٢٢ عن تحديات العمل السياسي في لبنان. النظام الطائفي والمُتخيلات التي تحاوط المجتمع والاقتصاد اللبناني تجعل من الاتفاق على تشخيص

فائدتها إلا في كسب ظهور إعلامي لتجبر المخاصمة على الشرعية - بل خاضت الانتخابات بغية تقديم بديل يظهر تناقضات النظام الطائفي الذي انزلت نحوه بعض مجموعات المعارضة. وبناءً على ذلك، تعاونت الحركة فقط مع شخصيات دعمت خطتها علناً وقدمت نفسها تحت نفس اسم "قادرين نخلي" الأزمة فرصة". بذلك كانت المرة الأولى في تاريخ لبنان التي نافس فيها حزب سياسي في كل الدوائر الانتخابية؛ وبذلك هُشمت المقاربة السائدة القائمة على تبني خطاباً سياسياً يتناسب المنطق الطائفي لكل دائرة انتخابية، لجذب التحالفات الطائفية. سعت "حركة مواطنون ومواطنات" إلى تدمير هذه المقاربة، وليس لاسترضائها.

عامه، أحرزت مجموعات المعارضة نتائج أعلى من المتوقع حيث حصلت على ١٣ مقعداً، أي ١٠٪ من المقاعد البرلمانية، ولكن في الواقع، بقيت متشردمة وغير متجانسة ولا تجمع بينها سوى تصنيفها كـ "تغييرية" على المجلس والساحة السياسية - وإلا تتطابق هذه التسمية مع الكثير من من ترشحوا. ضمن هذا السياق لم تنجح الكتلة البرلمانية "المعارضة" في الالتقاء على خطة عمل لأن ترشحها لم ينبثق عن مشروع سياسي. بغياب المشروع، تصبح الطموحات الشخصية وهم التمسك بالمقاعد هو المحرك الأساسي لهؤلاء. فمع تلاشي احتجاجات ٢٠١٩ في الذاكرة، سيضطر العديد من الذين يسمون أنفسهم معارضين إلى العمل بالقواعد الطائفية لإرضاء النابحين تماماً كزعماء الطوائف. انجلى ذلك في الأيام القليلة التي أعقبت الانتخابات، وازداد تفاقمًا مع الوقت

للأزمة تحدياً صعباً. اعتبار الواجهة الظاهرة للمؤسسات العامة دولة يمكن أن يؤدي إلى أخطاء حسابية سياسية، كما حصل مع الرئيس ماكرون خلال مبادرته للخروج من الطريق المسدود السياسي. إنهاء إفلاس عام ٢٠١٩ نظام التحاصص الطائفي الذي نشأ بعد الحرب الأهلية، ونحن اليوم نشهد تحوله. لن تنجح محاولة إخفاء التشققات بعد الآن، لذا على أي مبادرة تهدف إلى إنقاذ المجتمع أن تعمل باتجاه تغيير قواعد اللعبة وإنشاء دولة، ولن تنجح أي مبادرة أخرى إلا بتصعيد التوترات الطائفية

ريان شرارة و كريم حيدر - "مواطنون ومواطنات في دولة - لبنان"

ملحوظة: العناوين الداخلية مأخوذة من هيئة تحرير Idée Libre

ملاحظات:

تعتبر عملية توزيع الدوائر الانتخابية لإعطاء الأفضلية لحزب أو مرشح أو مجموعة معينة (ملاحظة من التحرير)
اتفاق لبناني داخلي تم التوقيع عليه في ٢٢ تشرين الأول ١٩٨٩،
بهدف وضع حد للحرب الأهلية التي استمرت منذ عام ١٩٧٥.
تم التفاوض في الطائف في المملكة العربية السعودية.

أنطون سعادته والقومية الاجتماعية

اسامه المنطار Oussama El-Montar



أنطون سعادته

تمهيد: القومية، ظاهرة أم عقيدة؟

ولد أنطون سعادته في بلدة الشوير، جبل لبنان، سوريا، عام ١٩٠٤. فَقَدَ والدته في سنٍّ مبكر وعاش أهوال الحرب العالمية الأولى يتيمًا ومسؤولًا عن إعالة إخوته الأصغر سنًا. فقد سبق وأن نُفي والده، الدكتور خليل سعادته، والذي كان طبيبًا من دعاة الوطنية السورية، إلى مصر. في نهاية الحرب، انضم إلى والده الذي كان قد غادر مصر إلى البرازيل، حيث توفي.

سنة ١٩٨٣، يكتب إرنست جلنر Ernest Gellner في كتابه الأمم والقومية، "لكن القومية كظاهرة، وليس كعقيدة كما قدمها القوميون، متأصلة في مجموعة معينة من الظروف الاجتماعية. هذه الظروف، في الواقع، هي ظروف زماننا". قبل ذلك بسبعة وأربعين عاماً، كان أنطون سعادته يكتب من زنزانة سجن في بيروت مقدمة مجلده، نشوء الأمم، والذي نشر في بيروت سنة ١٩٣٧، فيقول:

عاد سعادته إلى سوريا عام ١٩٣٠، وتنقّل بين دمشق وبيروت، حيث استقر أخيراً. في عام ١٩٣٢، أسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، والذي ظل تنظيمًا سرياً حتى تم الكشف عنه من قبل السلطات الفرنسية المنتدبة على لبنان، في ١٦ تشرين الثاني، نوفمبر، ١٩٣٥. بين ذلك التاريخ و١٥ أيار، مايو، ١٩٣٧، سجن الفرنسيون سعادته ثلاث مرات. في عام ١٩٣٨، غادر لبنان بعد أن هاجم بشدة الطبقة السياسية اللبنانية لفسادها، وبطريك الكنيسة المارونية لتدخله في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية. ذهب إلى البرازيل أولاً، حيث اعتقل بوشاية مغلوبة، ثم إلى الأرجنتين، حيث مكث حتى عام ١٩٤٧، حين سُمح له بالعودة إلى لبنان، ولكن بعد محاولات عرقلة متكررة من الدولة اللبنانية الفتية.

"إنّ الوجدان القومي هو أعظم ظاهرة اجتماعية في عصرنا. وهي الظاهرة التي يصطبغ بها هذا العصر على هذه الدرجة العالية من التمدن. ولقد كان ظهور شخصية الفرد حادثاً عظيماً في ارتقاء النفس البشرية وتطور الاجتماع الإنساني. أمّا ظهور شخصية الجماعة فأعظم حوادث التطور البشري شأنًا وأبعدها نتيجة وأكثرها دقة ولطافة وأشدّها تعقّداً، إذ إنّ هذه الشخصية مركّب اجتماعي - اقتصادي - نفسي يتطلّب من الفرد أن يضيف إلى شعوره بشخصيته شعوره بشخصية جماعته، أمته، وأن يزيد على إحساسه بحاجاته إحساسه بحاجات مجتمعه وأن يجمع إلى فهمه نفسه فهمه نفسية متّحدة اجتماعي وأن يربط مصالحه بمصالح قومه وأن يشعر مع ابن مجتمعه ويهتم به ويودّ خيره، كما يودّ الخير لنفسه."

كان العامان الأخيران من حياة سعادته، ١٩٤٧-١٩٤٩، منذ لحظة عودته، وحتى إعدامه، محفوفين بالمخاطر. فمن محاربة نفس الطبقة الحاكمة الفاسدة التي هاجمها قبل سفره، إلى القوميين العرب، والانعزاليين اللبنانيين، و"النيو رجعيين" كما سماهم، ناهيك عن تأثير شركات النفط الكبرى والحركة الصهيونية السريعة التقدم، والتي كانت على وشك إعلان قيام دولة إسرائيل كدولة يهودية.

هذه العبارة هي حجر الزاوية في تفكير أنطون سعادته (١٩٠٤-١٩٤٩)، مفكرٌ سوري وفيلسوفٌ اجتماعي وقائد سياسي ومؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي. كما أنها أساس مفهوم "القومية الاجتماعية" الذي دعا إليه سعادته. تهدف هذه المقالة إلى عرض هذا المفهوم والأدوات العملية التي أنشأها سعادته لتحقيقه.

القومية الاجتماعية

بدأ سعادته دراسته الاجتماعية انطلاقاً مما أسماه "الواقع الاجتماعي". في نفس المقدمة المذكورة أعلاه، يعلن: "إنّ (نشوء الأمم) كتاب اجتماعي علمي بحث تجنّبت فيه التّأويلات والاستنتاجات النّظرية وسائر فروع الفلسفة، ما وجدت إلى ذلك سبيلاً." لم يتجنب سعادته الاستنتاجات النظرية فحسب، بل كان له أيضاً هدف من وراء دراسته الاجتماعية. في رسالة وجهها إلى محاميّه، الأستاذ حميد فرنجية، يشرح فيها سبب تأسيسه للحزب السوري القومي الاجتماعي، يقول:

في حزيران من سنة ١٩٤٩، حوَصر سعادته في لبنان بعد هجوم على حزبهِ من قبل حزب الكتائب الفاشي. فانتقل سرّاً إلى دمشق حيث أعلن ثورة على الحكومة اللبنانية بعد وعد بالدعم من حسني الزعيم، الانتهازي العسكري الجديد الذي اغتصب السلطة في دمشق. حنث حسني الزعيم بوَعده، واعتقل سعادته وسلّمه إلى السلطات اللبنانية التي قامت بمحاكمته سورياً، وأعدمته رمياً بالرصاص في غضون أربع وعشرين ساعة. كان سعادته في الخامسة والأربعين من عمره حين أعدم.



أنطون سعادة (١٩٠٤-١٩٤٩). لقد رفض معظم العناصر التي اعتبرها الآخرون مكونات حيوية للأمة، مثل العرق واللغة والدين.

معه، في مجرى التطور، خصائص ومزايا تميزها عن غيرها من الجماعات".

هذا عبارة كثيفة جداً وتحتاج إلى تفكيك خاصة وأنها لا تنطلق من افتراضات مسبقة، بل من النظر إلى واقع أية أمة ودراسة سماتها الواضحة. من هذه الدراسة يخلص سعادته إلى أن الأمة هي نتاج العديد من الشعوب التي قطنت ذلك القطر على مدى فترة طويلة من الزمن، وأن تفاعل هؤلاء الناس فيما بينهم ومع الإمكانات التي توفرها الأرض نفسها، ينتج عنه الشخصية القومية التي تميز تلك الأمة من سواها.

وبناءً على ذلك، يرفض سعادته معظم العناصر التي اعتبرها الآخرون مكونات حيوية للأمة مثل العرق واللغة والدين. لقد رفض تماماً فكرة الأصل العرقي الخالص لأية أمة. كما أعلن أن الأمة يمكن أن يكون لها أكثر من لغة واحدة، وأكثر من دين واحد. وعلى العكس من ذلك، يمكن أن تشترك أكثر من أمة في لغة أو دين معينين. من هذا المنطلق، تتميز القومية الاجتماعية من سواها بأنها قومية "شمولية" Inclusive، مناقضة "للقومية الخالصة" أو الحصرية، Exclusive، القائمة على أي من العناصر المذكورة أعلاه. سيكون للعرق والدين واللغة تأثير كبير على

"كنت حدثاً عندما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤، ولكن كنت قد بدأت أشعر وأدرك، وكان أول ما تبادر إلى ذهني، وقد شاهدت ما شاهدت، وشعرت بما شعرت، وذقت ما ذقت، مما مُني به شعبي، هذا السؤال: ما الذي جلب على شعبي هذا الويل؟ ومنذ وضعت الحرب أوزارها أخذتُ أبحث عن جواب لهذا السؤال وحلٍّ للمعضلة السياسية المزمنة التي تدفع شعبي من ضيق إلى ضيق فلا تنقذه من دب إلا لتوقعه في جب... وبديهي أني لم أكن أطلب الإجابة على السؤال المتقدم من أجل المعرفة العلمية فحسب. فالعلم الذي لا يفيد كالجهالة التي لا تضر. وإنما كنت أريد الجواب من أجل اكتشاف الوسيلة الفعالة لإزالة أسباب الويل. وبعد درس أولي منتظم قررت أن فقدان السيادة القومية هو السبب الأول فيما حل بأمتي وفيما يحل بها. وهذا كان فاتحة عهد درسي المسألة القومية ومسألة الجماعات عموماً والحقوق الاجتماعية وكيفية نشوئها".

ينبع مفهوم سعادته عن القومية من فهمه لماهية الأمة. فانطلاقاً من "الواقع الاجتماعي"، وبعد بحث طويل في الفصل السابع من كتاب نشوء الأمم، يعرّف سعادته الأمة بأنها "جماعة من البشر تحيا حياةً موحدة المصالح، موحدة المصير، موحدة العوامل النفسانية — المادية في قطر معين يكسبها تفاعلها



لقد كانت سورية، كما يذكرها المؤلف في الصفحة التالية، ملتقى للعديد من الشعوب التي تفاعلت عبر التاريخ، سلمياً أو عنفياً، وأنتجت بعضاً من أكثر الحضارات ديناميكية وكانت شاهدة على بعض أهم المآسي التاريخية.

كتابات سعاده ونضاله، وسيؤدي في النهاية إلى إعدامه، عندما حاول تطبيق رؤيته الشاملة على وطنه الأم، سوريا.

الوطن السوري

بالنسبة لسعاده، سوريا هي الكتلة الجغرافية الممتدة من البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى جبال زغروس في الشرق، ومن جبال طوروس في الشمال إلى الصحراء العربية في الجنوب. وتشمل المناطق المحتلة التالية: القوس الشمالي الذي تم التنازل عنه لتركيا بموجب معاهدة لوزان، ١٩٢٣؛ الاسكندرون وأنطاكية التي منحتها فرنسا لتركيا في عام ١٩٣٨؛ منطقة الأحواز التي منحها البريطانيون لإيران عام ١٩٢٥. وتشمل أيضًا شبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص. كانت هذه رؤية أنظون سعاده لـ "أمة سورية قائمة بذاتها".

كانت هذه المنطقة ملعباً للعديد من الشعوب التي تفاعلت عبر التاريخ، بشكل سلمي أو عنيف، وأنجبت بعضاً من أكثر الحضارات حيوية وشهدت بعضاً من أكثر المآسي التاريخية. فمن جهة، هناك السومريون، الأكاديون، البابليو، الآشوريون، الكلدان، الآراميون، السلوقيون، والبيزنطيون، فالإمبراطوريات السورية العربية. ومن جهة ثانية، هناك الصليبيون، تدمير بغداد عام ١٢٥٨، الاحتلال العثماني، ١٥١٦-١٩١٨، تقسيمات سايكس بيكو، إنشاء إسرائيل، ومن ثم "الحروب المتتالية" من فلسطين إلى الأردن إلى لبنان إلى العراق والشام في القرنين العشرين والحادي والعشرين.

هذه الأسماء تمثل بعض الهويات السورية المتشظية، أو "كعب أخيل" السوري، والتي اعتبرها سعاده علّة سوريا واعتبر القومية الاجتماعية العلاج الطبيعي لها. فهذه المجموعات تعرّف نفسها على أساس العرق، أو الدين، أو المذهب، أو المنطقة، أو القبيلة، أو اللغة، أو أي مزيج منها. كان هذا هو الحال حتى قبل تقسيمات سايكس بيكو. فلكل من هذه الأقليات، نزعة انفصالية تغذيها القوى الاستعمارية مستغلة في ذلك أحداثاً ومآسٍ تاريخية. ومن هنا، فكل من الآشوريين والكلدان والسرمان في شكل عام، الذين تم ذبحهم، إلى جانب الأرمن في الإبادة الجماعية التركية ضدهم عام ١٩١٥، يرى نفسه أمة. كذلك موارنة جبل لبنان، الذين، منذ إعلان "لبنان الكبير" على يد الجنرال غورو عام ١٩٢٠، عملوا بجد على ابتكار هوية "فينيقية" لتمييز أنفسهم عن العرب والمسلمين. وهؤلاء، اختلطوا بطريقة ما ليصبحوا عرباً مسلمين أو مسلمين عرباً، بغض النظر عن حقيقة أن الكثير من العرب ليسوا مسلمين وأن هناك مسلمون غير عرب. الدروز، الذين يخضعون بغالبيتهم لسلطة زعمائهم الإقطاعيين والدينيين. والشّيء نفسه ينطبق إلى حد بعيد على العلويين، المنتشرين في الجبال الساحلية من سوريا وصولاً إلى الأراضي السورية المحتلة من قبل تركيا. ولا ننس الأكراد الذين يرون أنفسهم أمة عرقية

ترفض أية هيمنة عربية كانت أم تركية أم إيرانية. هذه الهويات الزائفة و"القاتلة" حسب أمين معلوف، الشوفينية والحصرية دائماً، كانت أساساً للعديد من "الأمم" المتذابحة. باستخدام هويتين من هذا القبيل في لبنان كمثال، أوضح سعاده أنه إذا كان الفينيقيون هم "thèse" والعرب "anti- thèse"، فإن القومية الاجتماعية ستكون "synthèse"، وهي هوية سورية شاملة حيث يتساوى جميع السوريين أمام القانون بغض النظر عن العرق أو الدين أو المنطقة. لقد رفض سعاده كلياً "العرق" أو "الإثنية السورية"، وتكلم عن مزيج سوري تطور عبر آلاف السنين من التفاعل بين الشعوب التي قطنت هذه المنطقة.

نظرة الحزب السوري القومي الاجتماعي وعلّة وجوده

اعتبر سعاده السياسة "فن تحقيق الأهداف القومية". كانت غايته توعية السوريين إلى هويتهم القومية، والعمل لوحدة سوريا وسياستها، وهي شروط اعتبرها ضرورية لترقية مستوى حياتها. هناك العديد من المراجع التي تشير بوضوح إلى هذه الغاية. فقد خصّص المحاضرة العاشرة، الأخيرة من سلسلة المحاضرات



في مكان ما في سوريا...

<https://www.lorientlejour.com/article/1315133/leffroy-able-livre-noir-du-behemoth-syrien.html>

استغلال الموارد الطبيعية من قبل القوة الاستعمارية مقابل الحماية.

كان سعادته يحلم بسوريا موحدة، علمانية وقوية متحررة من الإرادات الأجنبية. سوريا التي يمكن أن تستعيد دورها التاريخي كمساهم رئيسي في الحضارة العالمية. هذا الحلم بـ "حياة أجود في عالم أجمل وقيم أعلى" ما يزال حياً، ولكنه في طور النزاع. يشهد على ذلك الانهيار الحالي للبنان والعراق والجمهورية العربية السورية، ناهيك عن فلسطين المحتلة.

أسامة المنطار،

من مواليد بيروت، ويعيش في كندا حيث يعمل مستشاراً إدارياً دولياً. وهو مؤلف الكتاب (باللغة العربية): "استراتيجيات التغيير في التنظيمات الأيديولوجية - دراسة حالة: أنطون سعادة والحزب الاشتراكي الوطني".

التي ألقاها بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨، لشرح غاية الحزب، مليئة بالإشارات إلى "ترقية الحياة في سوريا ودفع السوريين إلى قيم أعلى". ومع ذلك، فإن أوضح فكرة عن رؤيته للحياة والدافع لإنشاء حزبه، هي "القاعدة الذهبية" التي وضعها في كتابه، الصراع الفكري في الأدب السوري: "طلب الحقيقة الأساسية الكبرى لحياة أجود، في عالم أجمل، وقيم أعلى".

غاية الحزب السوري القومي الاجتماعي

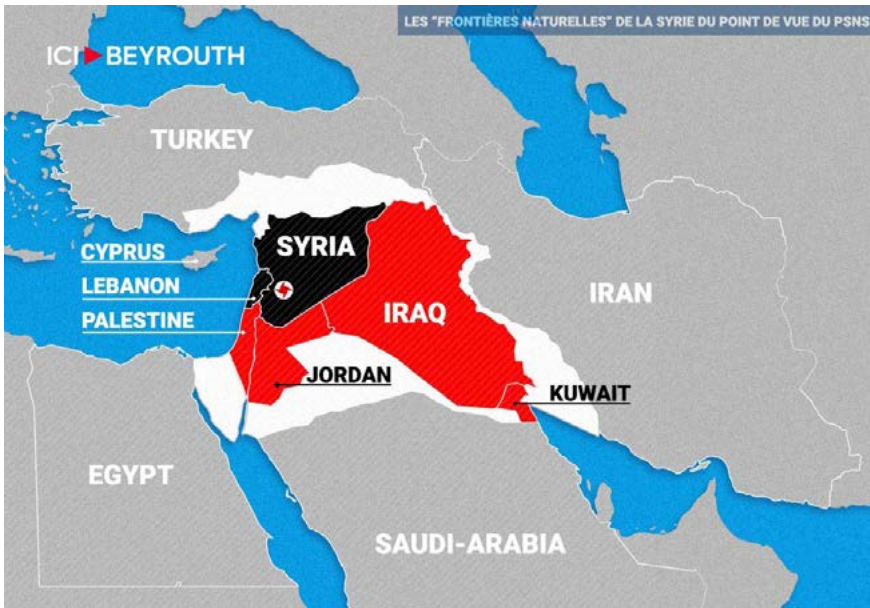
يقول سعادته في كتابه الصراع الفكري في الأدب السوري، "إن الحزب تأسس بسبب النظرة أعلاه". بالتالي، فإن غاية الحزب تدعو لتحقيق أربعة أهداف استراتيجية: قيام نهضة سورية تؤدي إلى تحقيق مبادئ الحزب؛ تنظيم حركة تؤدي إلى استقلال سوريا وسيادتها؛ إقامة نظام سياسي جديد يؤمن مصالحها ويرفع مستوى حياتها، والسعي لإقامة جبهة عربية. تقوم هذه الأهداف على ثمانية مبادئ أساسية وخمسة مبادئ إصلاحية تشكل ما سمّاه سعادته "القضية السورية". (مقدمة دستور الحزب السوري القومي الاجتماعي).

تتناول المبادئ الأساسية الهوية القومية، والوحدة المجتمعية، والاستقلال، وحدود سوريا، والتراث الثقافي السوري، ورفع مصلحة سوريا فوق جميع المصالح الأخرى. أما المبادئ الإصلاحية، فترسم الطريق للخروج من الانقسامات المجتمعية والفساد السياسي والتفاوت الاقتصادي. ونظراً لتأثير القادة الدينيين، تتناول الثلاثة الأولى فصل الدين عن الدولة ومنع رجال الدين من التدخل في الشؤون السياسية والقضائية وإزالة الحواجز المجتمعية بين مختلف الطوائف؛ أما الرابع فيتناول إنهاء الإقطاع وبناء اقتصاد

قوي قائم على الإنتاج، في حين يركز المبدأ الإصلاحية الخامس على تكوين جيش قوي قادر على الدفاع عن سوريا.

معضلة سوريا

يمكن تلخيص معضلة سوريا، مثل العديد من دول العالم الثالث، على هذا النحو: تستغل القوى الاستعمارية الانقسامات الداخلية لإثارة الكراهية والصراع الأهلي. تختار القوى الاستعمارية فرداً محلياً أو مجموعة لاستلام الحكم شرط قبوله



سوريا كما يتصورها الحزب السوري القومي الاجتماعي بزعماء أنطون سعادة.

الأكراد ودورهم في التاريخ الحديث

جورج سعد GEORGES SAAD



بالنسبة إلى جبرار جوتيه، الناشط الشيوعي التحرري¹ "ها نحن هنا بالضبط بعد خمسمائة عام من معركة جالديران (أغسطس ١٥١٤)، التي قررت تقسيم الأراضي الكردية بين الإمبراطورية العثمانية وبلاد فارس الصفوية، كما نحن بعد مئة عام (أغسطس ١٩١٤) بعد اندلاع الصراع الذي أدى إلى تقسيم جديد لهذه الأراضي نفسها". ثم يتساءل الكاتب عن سيطرة الأكراد على أراضيهم.

استمر قمع الأكراد منذ إنشاء الانتداب الفرنسي على سوريا بعد اتفاقية سايكس بيكو. لم تعترف الحكومة السورية (المعروفة رسمياً باسم الجمهورية العربية السورية) بوجود الأكراد، وفي عام ١٩٦٢، تم تجريد ١٢٠ ألف كردي سوري من جنسيتهم، وأصبحوا عديمي الجنسية. كما تم قمع اللغة والثقافة الكردية. حاولت الحكومة حل هذه المشاكل في عام ٢٠١١ من خلال منح الجنسية لجميع الأكراد، ولكن للأسف عدد متواضع فقط حصل عليها وكان هناك عدد غير قليل من القرارات التمييزية، بما في ذلك حظر تدريس اللغة الكردية. إنه شعب عانى ولا يزال يعاني في كل مكان.

لفهم الأحداث الأخيرة، في كل من تركيا وسوريا والعراق وإيران¹، علينا العودة إلى تاريخ الشعب الكردي.

1 منظمة العفو الدولية تحذر: سبعة نشطاء، جميعهم من أفراد الأقلية الكردية السنية في إيران، معرضون لخطر الإعدام في سجن راهي شهر، بالقرب من طهران. وقد أدينوا بتهمة "الإفساد في الأرض" وحُكم عليهم بالإعدام عقب محاكمة غير عادلة بشكل صارخ، شابتها مزاعم عن تعرضهم لأعمال تعذيب لانتزاع "اعترافات".

<https://www.amnesty.org/fr/documents/mde13/5281/2022/fr/-1-mars-2022>.

1 Gérard Gautier, Les territoires kurdes au Moyen-Orient. Contrôle politique versus développement économique, Dans Maghreb - Makhrek 2014/4 (N° 222), pages 45 à 73

الفرصة التي أتاحها الحرب السورية

يصر قائد قوات سوريا الديمقراطية، مظلوم عبيدي، على رغبته في إدخال حقوق شعب روج آفا في الدستور السوري الجديد. لكن الحكومة السورية رفضت بشدة التفاوض مع قوات سوريا الديمقراطية وترفض حتى مجرد الإشارة إلى مصطلحات مثل تلك التي يستخدمها مسؤولو الإدارة الذاتية باسم "شعوب روج آفا".³

كومونة روجافا (الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا)

في شمال سوريا، سرعان ما أصبح السكان الأكراد جزءاً من حركة الاحتجاج المناهضة للنظام. لكن التقارب مع تركيا لعدد مهم من عناصر التمرد المتجمعة داخل المجلس الوطني السوري، وتهميش المطالب الخاصة بالكرد الناتجة عنه، دفع حزب الاتحاد الديمقراطي إلى اختيار طريق ثالث أكثر ثورية، يعتمد الأفكار الشيوعية التحررية.

في ١٩ تموز ٢٠١٢ سيطر المقاتلون على مدينة كوباني بدعم من قسم كبير من السكان. منذ عام ٢٠١٣، تم إنشاء سلطة تنفيذية - الإدارة الذاتية التي نظمها ج م د، والتي كانت تتكون في البداية من كواد سياسية مدربة داخل حزب الاتحاد الديمقراطي - في شمال سوريا، في المناطق المحررة من جنود بشار الأسد. إنها مساحة تسمى "روج آفا"، أي الغرب باللغة الكردية (وأيضاً أو عرب كردستان). على المستوى التنظيمي، روجافا الكونفدرالية الديمقراطية وهي مستوحاة من الفكر النظري لعبد الله أوجلان.⁵

3 روجافا هي منطقة متمردة تتمتع بالحكم الذاتي في شمال وشمال شرق سوريا.
4 الحركة من أجل مجتمع ديمقراطي.

5 اعتقل أوجلان في 15 فبراير 1999 وسجن في تركيا حيث حكم عليه بالإعدام بتهمة الإرهاب. ومع ذلك، لم يتم تنفيذ الحكم، حيث ألغيت عقوبة الإعدام في عام 2002. ثم تم تخفيف عقوبته إلى السجن المؤبد. وهو محتجز في جزيرة إمرالي. هو زعيم حزب العمال الكردستاني ومؤسس الكونفدرالية الديمقراطية.

هناك قول عربي مأثور: "مصائب قوم عند قوم فوائد"، وبالفعل قدمت الحرب الأهلية السورية فرصة للأكراد لتأسيس أرض بأفكار اشتراكية. ستسمح هذه القاعدة الإقليمية ببناء مشروع سياسي "مستقل". أصبح الأكراد لاعباً رئيسياً في الأزمة السورية وأنشأوا نظام إدارة مستقل. هذه المناطق هي مناطق مأهولة بشكل رئيسي من قبل الأكراد، ولكن أيضاً من قبل العرب والمسيحيين والشيشان ...

أكراد بدون كردستان

تعبير "أكراد بدون كردستان" يعني أنها أمة بلا بلد، بلا دولة. لا يوجد سوى تأريخ وتمثيلات واحدة للأمة. لم يعد هذا صحيحاً: دولة شمال العراق الفيدرالية، والتي، رغم عدم الاعتراف بها دولياً، قائمة منذ عام ١٩٩٢، لديها مؤسساتها ومدارسها وكتبها المدرسية. وكما سنشرح: في سوريا، في شمال سوريا، بمجرد أن أتاحت لهم الفرصة، أظهر الأكراد دافعا ثورياً، ليس فقط قادراً على بناء دولة ولكن، أفضل من هذا، لبناء كونفدرالية ديمقراطية، من النمط البرودوني. علينا الإشارة إلى أن الأحزاب السياسية المختلفة تعزز بقوميتها تمثيلاً معيناً للأمة. في تركيا بشكل خاص، ينتج القادة القوميون الأكراد تمثيلات للأمة، من خلال تاريخها، وأدبها، وأعيادها الوطنية. ولنشر إلى دور وسائل الإعلام في نشر التعاليم التربوية والقومية.²

2 Voir par exemple: Konrad Hirschler, «Defining the nation: Kurdish Historiography 6 in Turkey in the 1990s», Middle Eastern Studies, vol. 37, n° 3, juillet 2001, p. 145-166.



وعلى المستوى التنظيمي، تدعي روج آفا أنها كونفدرالية ديمقراطية مستوحاة من الفكر النظري لعبد الله أوجلان.



© Kurdishstruggle (CC BY 2.0), 2015

مقاتلات YPJ (وحدة حماية المرأة) أمام العلم.

في آذار ٢٠١٦، تأسس الاتحاد الديمقراطي لشمال سوريا، بهدف جمع كل سكان المنطقة ضمن المشروع السياسي الذي تنفذه الإدارة الذاتية. يتم ضمان التنظيم الإداري للمناطق وإنشاء الهياكل الديمقراطية، مثل الكومونات والتجمعات، من قبل الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. أخيراً، مجلس سوريا الديمقراطية، المكون من ممثلين عن الأحزاب السياسية والإدارة الذاتية والمجتمع المدني، يعمل على نطاق أوسع ويهتم بالقضايا الدبلوماسية المتعلقة بحل الصراع السوري، من خلال اقتراح حل قائم على الكونفدرالية الديمقراطية.

وبما أن الثورة تتطلب تنازلات، فقد تم وضع هذه المبادئ في كانون الأول ٢٠١٦ تحت اسم الاتحاد الديمقراطي لشمال شرق سوريا، بهدف استبدال المصطلح الكردي الأصل "روج أفأ"، كي تكون قادرة على دمج جميع السكان.

من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٩، امتدت سيطرة الإدارة الذاتية بعد معارك شرسة مع داعش، وضمت مزيداً من السكان العرب، وكذلك السريان والأرمن والتركمان والإيزيديين⁶.

إنجازات ضخمة على خلفية تحررية

إن البنية الديمقراطية الأساسية لهذه الكونفدرالية الديمقراطية هي الكومونة. في نهاية شهر نيسان ٢٠١٨، التقى الرؤساء الـ ١٢ في أحد منازل منطقة كوباني. نساء ورجالاً - ومعظمهم في الأربعينيات أو الخمسينيات من العمر - في نسب متساوية تقريباً. وقد تم إجراء انتخابات منتظمة وديمقراطية بمشاركة عالية.

6 بعض المعلومات مأخوذة من مقال جيد جداً "ما وراء الدولة القومية: الكونفدرالية الديمقراطية، بديل سياسي للأكراد في الشرق الأوسط"، على موقع ريتيمو

(<https://www.ritimo.org/Le-Rojava-une-alternativedemocratique-et-communa-liste-au-nord-de-la-Syrie>).

الحركة النسائية

في الدفاع عن أراضي الحكم الذاتي ضد المرتزقة السوريين الذين دفعتهم تركيا، ورغم الوسائل العسكرية الهائلة المنتشرة ضد الأكراد.

كان لا بد من أن يصاحب التوسع السريع لهذه الأفكار التحررية في المناطق ذات الغالبية العربية عمل أيديولوجي كبير مع القبائل، التي لها وزن سياسي وازن، من أجل تحقيق تحالفات دائمة وتقبل المشروع السياسي الثوري.

طرحت فكرة المساواة بين الرجل والمرأة مشكلة. عمل النشطاء من باب إلى باب، ودعوا كل واحدة من النساء للمشاركة في الإجراءات والتعرف على الأداء السياسي المقترح. أنشأوا مؤسسات لتدريب الراشدين، وأكاديميات. ثمة عوائق كان ينبغي التغلب عليها، مثل التجنيد الإجباري داخل قوات الدفاع عن النفس، أو الوجود المهيمن للكودار السياسية الكردية في الإدارة الذاتية، والتي تضاءلت بمرور الوقت بفضل اندماج الحركة من قبل غير الأكراد. إن نشر الأفكار لا يمكن أن يتم إلا على حساب التنازلات: كان من الضروري التعامل، على سبيل المثال، مع القبائل العربية التي كانت تنتظر عودة النظام الاستبدادي السوري لاستعادة الامتيازات التي كانت تتمتع بها. دون أن ننسى أن السكان الذين يعملون في القرى من أجل بناء الكونفدرالية الديمقراطية، وتعزيز أوضاع النساء، يتعرضون للتهديد من هذه القبائل وأيضاً من الجماعات العميلة لتركيا.

إن تحرر المرأة هو أحد أعمدة الحداثة الديمقراطية كما يراها أوجلان. في أنشطة الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا والجماعات ذات الصلة، يحق للمرأة، على قدم المساواة مع الرجل، الاعتراض على جميع القرارات التي تهمهن. بالإضافة إلى الرئاسة المشتركة، يتم تخصيص حصة لا تقل عن ٤٠٪ من المقاعد في الهياكل المختلطة.

لكن مشروع الكونفدرالية الديمقراطية تباطأ بسبب الصعوبات المختلفة. أولاً وقبل كل شيء، على المستوى الفردي، تتطلب المشاركة في الجمعيات الكثير من وقت الفراغ والناس يعملون يجد من أجل البقاء. يجب ألا ننسى أننا في منطقة من العالم حيث التربية منذ الطفولة مهمة، زهي تزن وتحكل رواسب حتى عندما نقرأ الكتب الثورية. يستغرق الأمر وقتاً لتغيير العقلية وكل شيء نسبي. ليس من السهل الانتقال من حياة في ظل نظام قمعي وسلطوي - بما في ذلك ممارسات الحزب الشيوعي السوري الخاضع تماماً - إلى نظام ثوري وتحرري يسم الإدارة الذاتية.

جهود ضخمة

مع ذلك، أظهر الهجوم على تركيا في تشرين الأول ٢٠١٩ قوة التحالفات التي تم إنشاؤها⁷. ولم تستسلم القبائل العربية لدعوات الدولة التركية للتخلي عن الأكراد، وشاركت جميعها

7 وفي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩، شنت تركيا هجوماً في قلب أراضي الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، وسيطرت على جزء كبير من الأراضي الواقعة بين بلدي كوباني وكري سبي (تل أبيض).



مدرسة. يتم التعليم على قدم المساواة للفتيات والفتيان.



© Le Rojava en Syrie, entre compromis et utopie (2018) https://youtu.be/AkdpNniwkJE

اجتماع جماعي في كوباني. على سبيل المثال، تتم مناقشة أسعار المواد الغذائية. يتم تشكيل لجنة لمراقبة الأسعار.

والأجانب

خاتمة

حتى لو لم تقم الإدارة الذاتية لشمال سوريا ببناء مجتمع فورييه المثالي⁹ ولم تنفذ أي مشروع متكامل وصلب (مثل "اجعل روج آفا خضراء مرة أخرى")، تبقى حقيقة أن هذا المشروع السياسي الذي تم تنفيذه في شمال سوريا سيكون بمثابة نقطة الالعودة لكثير من سكانها. تقول نادية، وهي امرأة تركمانية في الخمسينيات من عمرها انتسبت الى هذا الحراك في العام ٢٠١٨ وأصلها من منبج:

هي تقول:

عندما كانت داعش في المنطقة، لم تكن المرأة موجودة. كانت المرأة محطمة وخاضعة، وينظر إليها على أنها أداة للتكاثر. لكن بعد وصول الديمقراطية، أظهرت النساء وجودهن. ها نحن جميعا نفس الشيء. لا يوجد أكراد ولا تركمان ولا عرب. نعمل معاً ونتناقش معاً... الآن أعرف ما أريد. ما هي حقوقي وأمنياتي. علاقتي بالعالم. قبل هذا التغيير أنا أيضاً كنت في المنزل، كنت أعتني بأولادي وزوجي وأطبخ. مع ظهور الديمقراطية، تغير ذلك. الآن أعلم أن لدي هدف.

جذبت الأفكار التحررية للأكراد الأجانب الذين جاءوا للقتال، لأسباب أيديولوجية، من أجل الفوضوية أو الشيوعية أو الاشتراكية، وتدريبوا في أحد معسكرات حزب العمال الكردستاني في تركيا. ثم انضموا إلى المقاتلين الأكراد والعرب والإيزيديين والأرمن والآشوريين وغيرهم من المقاتلين في قوات سوريا الديمقراطية. بالنسبة لسكان روج آفا، "إنه لمن دواعي سرورهم أن يأتي الناس للدفاع عنهم عندما أدار العالم كله، طيلة قرن تقريباً، ظهره عن أملهم في الحكم الذاتي وتقرير المصير"⁸. ينتقد نشطاء فرنسيون - والنقد الفرنسي لا سيما عند اليساريين معزوفة معروفة - هذا التمجيد للغربيين الذين جاءوا للقتال مع الأكراد. حتى أنهم يتحدثون عن سباحة الحرب لهؤلاء الأجانب الفقراء، الذين يحبون "صور السيلفي" لكنهم يعودون لاحقاً إلى حياتهم الطبيعية في المترو بولو دودو (مترو-عمل-نوم). من جهتي، أرى أن هذا شكل من أشكال النضال الأممي.

⁸راجع مقال حرب العصابات الفوضوية في كردستان: "نضال ليس من أجل الاستشهاد"¹⁴ ولكن مدى الحياة"¹³، 13 مايو 2017، اللجنة الدولية، الاتحاد الشيوعي للبرالي:

<https://www.unioncommunistelibertaire.org/?Guerilla-anarchiste-auKurdistan-Une-lutte-non-pour-le-martyre-mais-pour-la-vie>

عصابات لاسلطوية في كردستان كفاح ليس من أجل الاستشهاد بل من أجل الحياة

⁹ Charles Fourier, né le 7 avril 1772 à Besançon (Doubs) et mort le 10 octobre 1837 à Paris, est un philosophe français, fondateur de l'École sociétaire.



في ليلة ٥ إلى ٦ فبراير، وقع زلزال عنيف بقوة ٧,٨ درجة في جنوب تركيا وسوريا. وقد تأثر الجزء الغربي بأكمله من روج آفا بشكل خاص. هنا في منطقة عفين (أنظر الخريطة ص٤٥).

هكذا اشترت الكونفدرالية الديمقراطية منزلاً لها في هذه المنطقة الكبيرة الواقعة في شمال سوريا، وهي الآن مالكة له ولا يمكن لأحد أن يبعدها عنه. تستمر كتابة الحاضر كل يوم من قبل الآلاف من الأكراد والعرب والسريان والإيزيديين والتركمان والشركس والمتطوعين الدوليين الذين يعملون على تحقيقه، لكن لتحقيق تقدم فعلي المسألة تحتاج إلى استقرار لا يزال بعيد المنال بسبب الفوضى الجيوسياسية في سوريا. أصلاً تحتاج أفكار المساواة الاجتماعية والعلمانية والاشتراكية التحررية في أوروبا وفرنسا إلى حالة من الهدوء للتقدم فما بالك إذا كان ذلك في منطقة مشتعلة بالحروب- في حرب قذرة - في منطقة يهيمن فيها التعليم الديني.

تهانينا لكل هؤلاء النشطاء الأكراد الذين يغيرون اللعبة في هذه المنطقة الفائقة الأهمية: هم يحاولون غرس أكثر الأفكار تقدمية على هذا الكوكب، أي الأفكار الأنركية والشيوعية والاشتراكية والتحررية. كل التشجيع لكم. يعيش الشعب الكردي!

جورج سعد،

أكاديمي، عضو في جمعية المفكرين الأحرار

رئيس الجمعية اللبنانية لفلسفة القانون

الفكر السياسي وعلاقته بالدين

كريستيان إيشين CHRISTIAN EYSCHEN



هي حقيقة لا يمكن لأحد أن ينكرها، وهي أن "حضارتنا" لما كانت على ما هي عليه اليوم بدون الثقافة العربية الإسلامية.

لذلك من الضروري معرفة ما ندين به للثقافة العربية الإسلامية.

في القرن الثامن، تطورت فكرة "الرجل المسلم الصادق"، في إطار المدن الكبرى، "الأديب"، المصقول، المثقف، الحريص على المعرفة، البارع في المحادثات العلمية حول العلوم والفنون والآداب والموسيقى أو الشعر أو أجهزة الذاكرة التي تجعل من الممكن تخزين معلومات كثيرة. ومن بغداد إلى قرطبة، في هذا الزمن بالذات تزدهر المكتبات العظيمة وتغذي الشهية للمعرفة بروح توفيقية للغاية.

نقطة البداية لهذه المعرفة هي العلم والفلسفة القديمان، وهما هدفان لموجة من الترجمات، يرجع معظمها إلى المسيحيين. أرسطو، أفلاطون، بطليموس، أبقراط، جالينوس، إقليدس، أرخميدس، كل هذه المصادر شكلت أسس العلم "العربي". هذه الأعمال ساهمت في تشكيل وعي المسلمين وأثارت فضولهم، بروح أكثر عملائية منه تنظيرية.

كما كتب المستشرق الكاثوليكي الكبير لويس ماسينيون: "على الرغم من الانفتاح الضخم، فإن العلم العربي ليس سوى استمرار للعلم اليوناني". وهذه هي الطريقة التي تتطور بها المعرفة بعمق في مجالات الطب والرياضيات (اختراع الصفر) وعلم الفلك والفيزياء والجغرافيا.

يذكر ج. سارتون، في مقدمته الضخمة لتاريخ العلم، ما لا يقل عن أربعين باحثاً رائداً في العالم العربي الإسلامي في القرن التاسع. لا شيء أفضل من ذلك يوضح تألق هذه الحضارة في وقت كان

فيه الغرب المسيحي لا يزال في الصحراء الثقافية وفي "العصور المظلمة".

بينما يراقبون بعضهم البعض، يكرسون أنفسهم قبل كل شيء للمناقشات ذات الطبيعة الثقافية، والتي يحسمونها بالفظائع الشنيعة كما بالروائع الروحية والفنية... "بيزنطية وبغداد: عظمة الشرق (القرنان الثامن والعاشر) لجورج مينوا".

مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه في وقت لاحق، عندما ظهرت الدول القومية في أوروبا، بنى العثمانيون إمبراطوريتهم التركية الإسلامية. هذا ما سيوضح المسارات المختلفة والأشكال السياسية المختلفة التي نعرفها اليوم.

مساهمة أخرى أيضاً للماسونية

من خلال الرمزية والممارسة الخيمائية، اكتشفت الماسونية في القرن الثامن عشر الفلسفة الهرميتية. على غلاف الكتاب، تم استعارة العنوان من تاسيتوس: "نادرة هي الأوقات السعيدة التي يمكن فيها للمرء أن يفكر فيما يريد أن يقوله ويفكر به" (إنه بالتأكيد ليس وقتاً آخر، ولا عادات أخرى تختلف عما يحصل اليوم)، هناك صلة وثيقة جداً بين Hermes

1Bizance et Bagdad: la gloire de l'Orient (VIII^e-X^e siècle) de George Minois.

في بيزنطية كما في بغداد، السؤال الكبير هو حول شرعية السلطة: من يجب أن يقود ومن يجب أن ينجح. لنكن واقعيين: هنا كما في أي مكان آخر، حق الأقوى هو صاحب الحق دوماً. وجميع البناءات القانونية والدينية ليست سوى واجهات لتغطية القاعدة الحقيقية الوحيدة القائمة وهي قاعدة القوة. يقاتل كل من الباسيليوس والخليفة لفرض إرادتهما وعائلتهما. وهذا الصراع يجلب الفظائع وكذلك الإنجازات العظيمة، لأن القوة يجب أن تسحق وتسطع وتضطهد وتبهر. المجد هو بهذا الثمن. خلال مائتي وخمسين عاماً، كانت الكلمة للمعارك الداخلية ضمن المكونات الاجتماعية السياسية المختلفة. البيزنطيون والمسلمون،



ملك الغربان يتشاور مع مستشاريه، المخطوطة العربية لكليلة ودمنة (١٢١٠). يشير الأدب إلى أخلاق رجل البلاط والأدب النثري الذي ليس دينياً ولا فلسفياً، ويشير المصطلح إلى جميع القيم التي تحدد "رجل البلاط".

إلى حد ما، كما الإرادة الحرة البروتستانتية أدت إلى حرية الضمير، التي يكفلها مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة.

قضية الانفصال

نسمع أشياء غريبة في النقاش حول الإسلام. على سبيل المثال، اليهودية والمسيحية هما تتوافقان جوهرياً مع الديمقراطية والعلمانية. يستند هذا التحليل السياسي لهؤلاء المؤرخين التحريفيين إلى عبارة مأخوذة من الأناجيل: "اعط لقيصر ما لقيصر وما لله لله" وهي هزيلة للغاية وغير متسقة. لإتقان ثقافتهم، إن أمكن، نقدم لهم بكل سرور ما هو مكتوب في القرآن، والذي له نفس الطبيعة. قال محمد: ما أنا إلا رجل، إذا أمرتك بشيء من دينك فاتبعه. إذا أمرتك بشيء بناءً على رأيي الشخصي، فاعلم أنني مجرد رجل" [صحيح الإمام مسلم، الحديث ٢٣٦١ عند الرازي بن. خديج]. أو أيضاً: "أما في ما يخص دينك، فهذا يعنيني. فيما يتعلق بشؤون مملكك الديني فأنت أكثر قدرة على المعرفة. (حديث)

Trismegistus والخالد، والثاني هو كيميائي عربي يُعتبر أول أستاذ في هذا العلم في العالم العربي.

هذا البحث عن السعي الروحي سيجد أيضاً منفذاً في الصوفية حيث يساوي الصوفيون الكائن الأسمى بـ "النبذ"، لأنه يشع القلوب النقية، فيفقد هؤلاء الفطرة السليمة، كما لو كانوا قد شربوا الخمر. عندما يقول الصوفيون "كنا في نبذ رائج"، هذا يعني أنهم كانوا غائبين تماماً عن الأشياء المحسوسة ومأخوذون بالمعرفة المبدئية، المرادفة لـ "النبذ الرائج".

عندما يمر الماسونيون بكأس الإراقة المليئة بالنبذ في نهاية حصة التدريب، هل نحن أيضاً بعيدون جداً عن ذلك؟

إذا كان هناك من عالم روحي ينبغي اكتشافه، فيجب على المرء أن يهرب من العالم المادي. أليست هذه بداية الفصل بين الروحاني والزمني؟ التفكير الأول هو في المجال الديني، ولكن هذا لا يمكن أن يؤدي على المدى الطويل إلا إلى المجتمع السياسي.



نقش يصور مورينوس اليوناني (يسار) والملك خالد بن يزيد (يمين). كان مورينوس منعزلاً واشتهر بكونه كيميائياً عظيماً. بحث عنه خالد بن يزيد، ومن خلال سلسلة من المحادثات، عرف في النهاية سر حجر الفلاسفة. وقال مورينوس للملك إن من طلب غير حجر الفيلسوف لعمله فهو مثل رجل يصعد سلماً بلا درج فيسقط على رأسه. هذا النقش مأخوذ من كتاب "الرمز الذهبي" لمايكل ماير، المنشور في فرانكفورت عام ١٦١٧.



إن التمييز بين الروحاني والزمني موجود في النص القرآني. من حيث المفردات، فإن الكلمات المستخدمة تؤكد ذلك بوضوح: دين (دين) ودولة (دولة)، عقيدة (إيمان) وشرع (قانون)، أمور الدين (أمور دينية) وأمور الدنيا (الشؤون العلمانية). بحسب بشير شباح، في مجلة PDVI رقم ١٨٢ - مجلة المحفل الكبير في فرنسا.

وهذا يبرر تماماً موقف الفكر الحر: لا داعي للتمييز بين الأديان المختلفة فيما يتعلق بالعلمانية وفصل الكنيسة عن الدولة. جميع الديانات التوحيدية هي في جوهرها ثيوقراطية. إن نضال الشعوب هو وحده القادر على إجبارها على التراجع وقبول الديمقراطية. هذا صحيح للكاتوليكية، وهذا صحيح أيضاً في للإسلام.

بالنسبة لشمس الدين حافظ، عميد المسجد الكبير في باريس، فإن فكرة أن الإسلام سياسي بطبيعته ولا يمكنه فصل الروحاني عن الزمني ليست جديدة. لقد صقلت هذه الفكرة ذهنية فرنسا الاستعمارية، حيث كان من المستحيل أن يكون المرء مواطناً فرنسياً ومسلماً في نفس الوقت.

للفكر الحر، لا يوجد دين صالح. إنه تفسير للعالم يتعارض مع العقلانية ودور البشر في طريق تحررهم.

كما يشير شمس الدين حافظ، عميد المسجد الكبير في باريس، في بيانه ضد الإرهاب الإسلامي: "ومع ذلك، فإن بعض الخبراء الذين أعلنوا أنفسهم خبراء وبعض المثقفين الزائفين الذين لن أذكر أسماءهم، وبعض الأحزاب والقادة السياسيين، نشروا خطاباً مفرزاً وبغضاً مستوحى من أعمال قلة من المستشرقين الذين عفا عليهم الزمن، حيث قرروا منذ عدة سنوات أن الإسلام في جوهره سياسي، ونتيجة لذلك، هناك لا فصل بين الشيء الإسلامي والشيء السياسي، بين الروحاني والزمني، وبالتالي بين ممارسة الإسلام وممارسة المواطنة.

هذه الفكرة ليست جديدة. لقد صاغت روحية فرنسا الاستعمارية حيث كان هناك تعارض لا يمكن إصلاحه بين كونك مواطناً فرنسياً وكونك مسلماً. وهكذا حُرِم هؤلاء الرعايا الفرنسيون من الدرجة الثانية من معظم حقوقهم وحرياتهم، ولا سيما حرية التنقل وكذلك الحق في التصويت والأهلية، وحتى التمتع بمبدأ العلمانية - حيث قانون ١٩٠٥ لم يتم تطبيقه إطلاقاً في المحافظات الفرنسية بالجزائر".

يكفي فحص ما يحدث في دولة إسرائيل الثيوقراطية والأنظمة الكوربوراتية المسيحية في المجر وكرواتيا وبولندا لإدراك أن جميع البيانات التوحيدية التوحيد لديها نفس الممارسات وأنه لم يتم ترويض أي دين من قبل العلمانية. في فرنسا نفسها، بلد الفصل بين الكنيسة والدولة، نشهد تراجعاً كاثوليكياً حقيقياً حول مسألة العلامات والشعارات الدينية في الفضاء العام.

يمكن تأسيس مبدأ: قوة الشعوب هي التي تدفع الأديان إلى الوراء في ادعاءاتها العقائدية، وبأسرع ما يمكن، تحاول الأديان، بطبيعتها، استعادة قوتها وموقعها المهيمن.

لا توجد احتمالات أكثر ولا أقل لرؤية إسلام علماني أو ديمقراطي أو جمهوري أكثر من رؤية كاثوليكية ديمقراطية أو يهودية تبشيرية. نحن في التناقض اللفظي وليس فقط في التكرار. إن الادعاء بفرض نموذج على الأديان هو أمر وهمي ويشكل أيضاً انتهاكاً لحرية الضمير.

ليس من حق جمعية الفكر الحر أن "تنصح" الأديان بما ينبغي أو لا ينبغي أن تفعله، لا تُعد La Libre Pensée وكالة تصنيف دينية، حرية الضمير ليست مدرجة في البورصة، بالنسبة



التجمع عند سفح تمثال غاريبالدي (الدائرة الخامسة عشرة في باريس) خلال مؤتمر الرابطة الدولية للفكر الحر (AILP) في عام ٢٠١٧. "ليس من مسؤولية الفكر الحر تقديم المشورة للأديان بشأن ما" يجب عليهم فعله أو عدم فعله. بالنسبة للفكر الحر، لا يوجد دين صالح. إن التظاهر بفرض نموذج على الأديان أمر وهمي ويشكل أيضاً اعتداء على حرية الضمير."

جانب آخر للدراسة

علاوة على ذلك، ربما تصور محمد أن كل شيء لن يكون بهذه البساطة عندما صرح (على أي حال هذا ما يُنسب إليه): "بالنسبة لي، كل شيء ليس سوى وسيلة، حتى العقبة". وهو ليس نفس مفهوم أدولف هتلر: "العوائق لا يمكن الاستسلام لها، بل علينا كسرها". كسرها يعني عدم استخدامها كوسيلة.

كريستيان إيشين Christian Eyschen

هو الأمين العام للفكر الحر والمتحدث

باسم الرابطة الدولية للفكر الحر.

إنهم يريدون أن يبيعوا لنا أن الإسلام لا يمكن أن يفصل الدين عن الدولة. عندما يسأل أحد البدو محمد عن ماهية الإسلام، يجيب: "أن أصرح بأن هناك إلهاً واحداً وأنا رسول الله، وألتزم بصرامة بساعات الصلاة، وإعطاء الصدقات، وصيام شهر رمضان، وإنجاز الحج إذا أمكن إلى مكة. هذه هي أركان الإسلام الخمسة.

لا يوجد، في تعريف الإسلام السياسي نفسه، أي التزام باحترام مفهوم المجتمع السياسي الديني، كما قد يدفعنا "الفكر الأحادي الذي يفرضه علينا" *Pensée unique* إلى الاعتقاد، وهو ما يخدم الأصوليين المسلمين كما الصليبيين في الغرب المسيحي.

أرض إسرائيل

متبوعاً بـ "مسار اليهود المعادين للصهيونية في فرنسا"

بيار ستامبول PIERRE STAMBUL



الكتاب المقدس العبري

الكتاب المقدس كتاب ديني، لكنه ليس كتاب تاريخ^١. هناك إجماع واسع اليوم بين علماء الآثار والمؤرخين على إبطال تاريخانية الخطاب الكتابي.

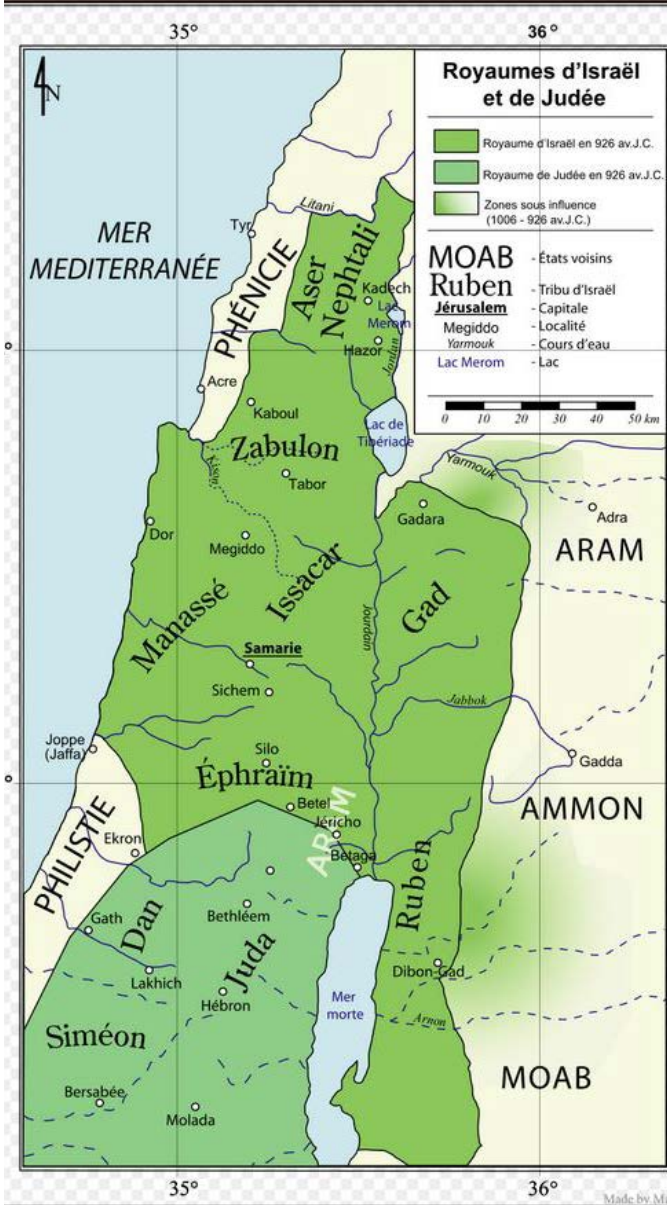
لا يوجد أي أثر لنزوح جماعي من بلاد ما بين النهرين إلى ما يعرف الآن بفلسطين/إسرائيل. قصة إبراهيم غير صحيحة إذن.

لا يوجد أي أثر، باستثناء حادثة الهكسوس الموثقة جيداً، لشعب من آسيا تم استعبادهم في مصر وخرجوا بعد ٤٠ عاماً من التجوال. بالإضافة إلى ذلك، في هذه الفترة كانت سيناء مليئة بالحاميات المصرية. ودعونا لا نتحدث عن البحر الأحمر والزعم أنه انفتح! قصة موسى غير صحيحة إذن.

لا يزال أصل العبرانيين موضع نقاش، لكن كل شيء يظهر أنهم كانوا من السكان الأصليين. وهل نصدق أنه تم احتلالهم وفي الوقت نفسه قتلهم للأشراك. إذن غير صحيحة أقاصيص يشوع Josué وأبواق أريحا.

خلال حقبة "المملكة المتحدة" المزعومة، كانت القدس قرية صغيرة من العصر الحديدي. غير صحيحة إذن أقاصيص داود وسليمان والهيكل الكبير ومملكة سبأ.

١ أي ليس حقيقياً مبنياً على وقائع تاريخيه مؤكدة.



يبدأ التاريخ المعتمد مملكتين متجاورتين حيث لم يتم تأسيس ديانة توحيدية بعد. وفي الشمال، تغطي مملكة إسرائيل ما يعرف اليوم بشمال الضفة الغربية. ومن الجنوب مملكة يهوذا (بين أورشليم والخليل وبئر السبع)، مع تضاريس أكثر قسوة.

اليهود المتدينين في أوائل القرن العشرين أي نية في احتلال الأراضي وستطور الأيديولوجية الصهيونية بدونهم. المراجع الكتابية (الإنجيل) سيكتبها أشخاص لا يؤمنون بها.

ما يميز هذا الغزو هو أنه لن يحدد أبداً الحدود وأنه سار دائماً حسب الأمر الواقع الذي ينتهي بـ "إضفاء الشرعية".

يبدأ التاريخ الموثق بمملكتين متجاورتين حيث لم يستقر دين توحيدي حقيقي بعد. إلى الشمال، تغطي مملكة إسرائيل ما يعرف الآن بشمال الضفة الغربية. كانت عاصمتها السامرة. تم تدميرها في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد من قبل الآشوريين وتم ترحيل النخب فيها.

إلى الجنوب، دمر جيش نبوخذنصر في بداية القرن السادس قبل الميلاد مملكة يهوذا (الواقعة بين القدس والخليل وبئر السبع) ذات التضاريس الأكثر قسوة. ثم تم ترحيل جزء من السكان إلى بابل ولن يُسمح لهم بالعودة إلا بعد ٦٠ عاماً، بعد سيطرة الفرس على بابل.

خلال هذا المنفى بلا شك، كُتب جوهر الكتاب المقدس العبري، ويجب تفسير هذا النص على أنه نص المنفيين الذين كانوا يبحثون عن سبب لوجودهم.

وبالتالي فإن أرض إسرائيل (أرض إسرائيل) تغطي مساحة غير محددة إطلاقاً. يمكن أن تقتصر على تلال الضفة الغربية حيث تقع المملكتان. يمكننا تضمين المنطقة الساحلية التي كانت كنعانية، أو حتى مناطق تقع اليوم في الأردن أو لبنان. حتى أن بعض النصوص تقدر أنها تذهب من النيل إلى الفرات، حيث يقول سفر التكوين إن "الأرض الموعودة لبني إسرائيل تمتد من نهر مصر إلى الفرات".

أين الحدود؟

كان الصهاينة الأوائل في الغالب من اللاأدريين أو الملحدون واستخدموا الكتاب المقدس ككتاب للغزو الاستعماري.

"الله غير موجود ولكنه أعطى هذه الأرض للشعب اليهودي".

تم اختيار بناء الدولة اليهودية المستقبلية في فلسطين على أمل جلب "الحريديم" (اليهود الأرثوذكس) للمشروع الصهيوني. هذا الأمل سيتحقق بعد غزو ١٩٦٧. حتى ذلك الحين سيكون المتدينون غير مؤيدين لمسألة الأرض. سيوقع جميع الحاخامات الألمان تقريباً على عريضة ضد الصهيونية مما يعني أن المؤتمر التأسيسي سيعقد في بازل (١٨٩٧) وليس في ألمانيا. لم يكن لدى

إن غزو ١٩٦٧ ليس "صدفة" في التاريخ. لقد كان مع سبق الإصرار منذ عام ١٩٤٨، وكان القادة الإسرائيليون ينتظرون الفرصة. نفذ قادة حزب العمل الخطط التي كانت قائمة منذ فترة طويلة. منذ الاحتلال، تم توسيع منطقة القدس الشرقية بشكل كبير وصوت البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) بسرعة كبيرة على ضم منطقة تقسم الضفة الغربية إلى قسمين، وتفصل رام الله ونابلس عن بيت لحم والخليل. رافق هذا الضم طرد آلاف الفلسطينيين من المدينة القديمة. كان حزب العمل (مع الوزير إيغال ألون) هو الذي اتخذ قرار الاحتلال ووضع الخطط لما كان سيتم ضمه (الكتل الاستيطانية الكبيرة، غور الأردن). ولأنهم لم يكن لديهم ما يكفي من المتطوعين، فقد لجأوا إلى أتباع الحاخام كوك، وهو تيار ديني أقلوي قام بعملية توليف بين الدين والصهيونية.

هؤلاء "مجانين بالله" سيخلقون غوش إيمونيم (كتلة الإيمان). من الخطأ تماماً الاعتقاد بأنهم استعمروا بشكل مستقل أو على الرغم من السلطات الحكومية والعسكرية. توافقت الخطط السياسية والعسكرية مع استعمار مكثف وبناء مدن جديدة عملاقة. تضاعف عدد المستوطنين خمس مرات منذ اتفاقات أوسلو.

يسعى هذا الاستعمار إلى هدف محدد للغاية: غزو واحتلال معظم الأراضي وحصار الفلسطينيين في "محميات" غير قابلة للحياة، "الباتوستانات"، دون وحدة إقليمية.

لقد أوضح آرييل شارون ذلك جيداً: "يجب على الجميع التحرك والركض والاستيلاء على أكبر عدد ممكن من التلال لتوسيع المستعمرات لأن كل ما نأخذه الآن سيبقى لنا .." (١٥ تشرين الثاني ١٩٩٨).

اليوم، يقترب عدد اليهود الإسرائيليين الذين يعيشون وراء "الخط الأخضر" (حدود عام ١٩٤٩ المعترف بها دولياً) من المليون. هم أقل عدداً من الفلسطينيين (٢٧٠٠٠٠) للضفة الغربية والقدس الشرقية) ولكن في كل مكان، البلدات والقرى الفلسطينية محاطة بالجدار والمستوطنات. الطرق مفصولة والمستوطنون يستخدمون "طرق التفافية" محجوزة لهم.

حتى الطريقان الرئيسيان اللذان يربطان تل أبيب والقدس يمران بالأراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧.

- في عام ٢٠٠٩، أدى نزاع داخلي في محطة الإذاعة اليهودية في مرسيليا إلى قيام إحدى الفصائل بدعوتي (لاستفزاز الآخر) للتحدث مباشرة مع المستمعين لمدة ساعة. بصرف النظر عن الطبيعة "الرياضية" إلى حد ما لهذا النوع من اللحظات، سأكون خلال البرنامج أمام خريطة بعنوان "إسرائيل". لم يتم تحديد أي حدود والخريطة تمتد من النيل إلى الفرات.

- في عام ١٩٩٤، بعد اتفاقيات أوسلو مباشرة، سافرت إلى إسرائيل/فلسطين ومررت عبر المطلة على الحدود اللبنانية. يصطف الآلاف من المدنيين. لم يكن جنوب لبنان أبداً جزءاً من فلسطين التاريخية، ولكنه عانى من الاحتلال الاستعماري في ذلك الوقت. كل يوم، يذهب آلاف اللبنانيين للعمل في إسرائيل وتزود المياه من لبنان المزراع الإسرائيلية. واستمر هذا الوضع حتى إجلاء القوات الإسرائيلية من لبنان (٢٠٠٠).

- في نفس العام، عبرت الجولان السوري المحتل. في كل مكان، قرى مدمرة، مساجد ممزقة. من ناحية أخرى في قطريين، عاصمة المستوطنين: مزارع كروم ومنازل جميلة وسيارات فخمة. عند مغادرة المدينة، وجد الإسرائيليون أنقاض كنيس يهودي من القرن الثالث الميلادي. لم يكن الجولان أبداً جزءاً من فلسطين. يشهد هذا الكنيس، مثل معبد دورا وأوروبوس على نهر الفرات أو معبد ساردس في تركيا، على انتشار الديانة اليهودية في العالم الهلنستي. لكنها بمثابة "مبرر" للضم، ولنعرف أن السبب الحقيقي لذلك هو حقيقة أن ثلث المياه التي تستهلكها إسرائيل تأتي من الجولان. في لبنان كما في سوريا، أنصار إسرائيل الكبرى براغماتيون قبل كل شيء.

- في فيلم "العربة وشجرة الزيتون، تاريخ آخر لفلسطين" للمخرج رولاند نوربيه (٢٠١٨)، يتم استجواب العديد من الشخصيات حول حدود دولة إسرائيل. يستنتج إلياس صنبر مثل ميشيل ورشوسكي أن إسرائيل لم تحدد حدوداً أبداً ولا تريد تحديدها. احتلت ٥٤٪ من فلسطين التاريخية التي منحها تصويت التقسيم (الأمم المتحدة، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧)، ثم الأراضي التي تم احتلالها عام ١٩٤٨ (احتلت إسرائيل حينها ٧٨٪ من فلسطين التاريخية) ثم فلسطين بكاملها (١٩٦٧). لكن إسرائيل ضمت أيضاً الجولان السوري وخططت لضم جنوب لبنان وسيناء (التي عادت إلى مصر بعد اتفاق جعل هذا من مصر شريكاً متواطئاً مع الاحتلال الإسرائيلي).



© domaine public

حتى عام ١٩٦٧، كان المتدينون لا يعيرون أي اهتمام للمسألة الإقليمية. وقع جميع الحاخامات الألمان تقريباً على عريضة ضد الصهيونية، ما يعني أن المؤتمر التأسيسي انعقد في بازل (١٨٩٧) وليس في ألمانيا.

المستوطنين: أفيغدور ليرمان، نفتالي بينيت، أفيف كوخافي ...
لقد أصبحت أرض إسرائيل غيتواً قاتلاً عملاقاً.

رحلة اليهود المعادين للصهيونية في فرنسا

بعد أن أصبح متحدثاً رسمياً حول هذا الموضوع كما في غيره من المواضيع بسخافة شديدة، يكرر إيمانويل ماكرون متى شاء أن "معاداة الصهيونية هي أحد الأشكال الحديثة لمعاداة السامية" أو أن "معاداة السامية ومعاداة الصهيونية أعداء جمهوريتنا الفرنسية".

ومن المعروف أن هذه المحاولة لتجريم انتقاد دولة إسرائيل ودعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني تقوم على التواطؤ التام مع القادة الصهاينة. بالنسبة لليهود المعادين للصهيونية، فإن استغلال معاداة السامية، والتي غالباً ما تكون تاريخهم الحميم، يعد أمراً وقحاً جداً.

لكن ما هي الصهيونية؟ إنها الأيديولوجية التي مكنت من إنشاء دولة إسرائيل من خلال التطهير العرقي المعتمد. يدعي البعض أنه منذ وجود هذه الدولة، فإن نقد الصهيونية له طابع تاريخي فقط. هذا بالطبع خاطئ. إذا كانت إسرائيل دولة فصل عنصري، وهو ما اعترفت به العديد من جماعات

هناك عدة أنواع من المستوطنين. بعضهم من "سكان الضواحي"، يعملون في القدس أو تل أبيب وتجذبهم الإيجارات المنخفضة للغاية لأنها إيجارات مدعومة. لكن الكثير منهم متدينون. لديهم قراءة قومية متطرفة للتوراة. "الله أعطى هذه الأرض للشعب اليهودي". ينسون أن هناك شروطاً في النص: أن يتصرف اليهود بشكل خلوق وجيد. استوحى هؤلاء المستوطنون من كتاب جوشوا الذي يعد بمثابة تبرير للتطهير العرقي: يأخذ جوشوا المدن الواحدة تلو الأخرى، ويذبح الأشرار، ولكن هناك دائماً البعض المتبقي من الأشرار، ويجب أن يبدأ مرة أخرى في المدينة التالية. أعطى المستعمرون أسماء "توراتية" لمستعمراتهم: شيلو، إيلي، إيتامار ...

المستوطنون يخضعون للقضاء المدني الإسرائيلي بينما يخضع الفلسطينيون للقضاء العسكري. إنهم مسلحون. يرتكبون العديد من جرائم القتل دون عقاب، ويهاجمون بانتظام الفلاحين الفلسطينيين في حقولهم أو بساتين الزيتون، ويدمرون المعدات، ويدربون أطفالهم على رمي الحجارة على أطفال المدارس الفلسطينيين.

ينص قانون "دولة إسرائيل دولة أمة للشعب اليهودي" الصادر عام ٢٠١٨ على أن تطوير المستوطنات اليهودية قيمة وطنية. عدد متزايد من السياسيين والجنود والقادة الإسرائيليين هم من

ومنهم لم يعلن ذلك الا كرد فعل على الجرائم الإسرائيلية. ترتبط العديد من هذه الشخصيات بالإبادة الجماعية النازية والمقاومة والحرب الجزائرية والاستعمار. رفض العنصرية موجود في كل مكان في الشهادات.

مسألة معاداة السامية حاضرة في جميع الشهادات. لقد أدت معاداة السامية الى رفض عميق للتمييز.

هذه هي أهمية هذا الكتاب: شهادات مختلفة لم تتكرر ولكن لها قيم عالمية مشتركة: حقوق متساوية للبشر، رفض العنصرية والاستعمار، "العيش معاً". سفر إلى أوروبا الشرقية، إلى المغرب العربي، إلى منطقة الألباس.

فائدة الكتاب هي أيضاً إعطاء صوت لمن لم يسبق أن كان له صوت. في الإعلام، من المريح جداً القول إن الحرب في الشرق الأوسط هي حرب طائفية ودينية أو يتكرر "بغناء" أن جميع العرب يدعمون فلسطين وأن جميع اليهود يدعمون إسرائيل.

هل ننسى المساندون للثورة الجزائرية والذين ضحوا بحياتهم. وباسم ذاكرتهم وتاريخهم وهويتهم هناك يهود مناهضون للصهيونية. ليسوا معادين للصهيونية رغم أنهم يهود ولكن لأنهم يهود.

بيار ستانبول Pierre Stanbul

هو الناطق باسم الاتحاد اليهودي الفرنسي من أجل السلام UJFP.



حقوق الإنسان (بما في ذلك منظمة العفو الدولية الآن)، فذلك لأن الصهيونية دافعت عن دولة عرقية منذ البداية. إذا كانت العنصرية والاستعمار والتفوق قد ترسخت، فذلك لأن الصهيونية قد أنكرت منذ البداية حقوق السكان الأصليين وكرامتهم وحتى وجودهم. إذا أصبح اليمين المتطرف مهيمناً في إسرائيل ولكن أيضاً في العديد من المجتمعات اليهودية المنظمة، فهذا نتيجة للصهيونية.

لم يكن كل اليهود مؤيدين للتطهير العرقي، وحتى الحرب العالمية الثانية والإبادة الجماعية التي قضت على غالبية يهود أوروبا، كان معظم المعادين للصهيونية من اليهود. لقد اعتبروا أن تحريرهم كأقلية مضطهدة هو من تحرر الإنسانية جمعاء. وبما أنهم كانوا متدينين، فقد كانوا يعتبرون أن إقامة دولة يهودية هو بلا معنى قبل وصول المسيح.

على العكس من ذلك، فإن معظم المعادين للسامية يتعاطفون مع الصهيونية، وهي أيديولوجية الفصل التي طردت يهود أوروبا من أوروبا.

تأسس الاتحاد اليهودي الفرنسي من أجل السلام (UJFP) في عام ١٩٩٤. أصدر موقعه في كتاب. وكان موقفه الأول: "لا جرائم باسمنا". من خلال أن يصبح المكون اليهودي لحركة التضامن مع فلسطين، من خلال إقامة روابط مع الجمعيات

الإسرائيلية المناهضة للاستعمار والجمعيات الشقيقة في مختلف البلدان بما في ذلك الولايات المتحدة، فقد اعتمد الاتحاد اليهودي الفرنسي UJFP الدعوة الفلسطينية لمقاطعة إسرائيل (مقاطعة، سحب الاستثمارات، عقوبات) لعام ٢٠٠٥. لقد اعتبر الاتحاد في وقت مبكر أن إسرائيل هي دولة فصل عنصري وعرف نفسه على أنه معاد للصهيونية، وسرعان ما تبعته جمعية أمريكية كبيرة جداً تدعى "صوت يهودي من أجل السلام. وبعد ذلك، يلتزم UJFP بمكافحة العنصرية بجميع أشكالها، رافضاً جعل معاداة السامية عنصرية "منفصلة".

يروي هذا الكتاب المشار إليه أعلاه المسارات الشخصية لـ ٢٢ من نشطاء الاتحاد من أجل الحرية والعدالة. هناك شباب وشيوخ. نساء ورجال. السفارديم، أشكناز. بينهم من تلقى تعليماً دينياً، ومنهم من لم يتلق أي تعليم ديني. منهم صهاينة يتحدثون عن انفصالهم، ومنهم من رفض هذه الأيديولوجية على الدوام. منهم من زار إسرائيل، عاش هناك، ومنهم من ليس له أي علاقة بهذا البلد. منهم من يعلن انتماءه للهوية اليهودية

كلمة في قراءة

مثل الرغبة التي لا تريد أن تموت



نشرت علياء ممدوح، كاتبة عراقية تعيش الآن في فرنسا وبيروت، أحدث روايتها باللغة الفرنسية في كانون الثاني ٢٠٢٢ بعنوان "كأنها رغبة لا تريد أن تموت". يعلن الغلاف الخلفي تعليقا مجازيا على قصة رجل، سمرمد، شيوعي عراقي سابق منفي في لندن، ذكوري ومفترس، لكن خائنه ميوله الجنسية وشقيقه رئيس المخابرات التابعة للنظام، والذي سرق منه حبيبته الف. باختصار، كما في الأوبرا، ليس الجدل هو المهم، بل الموسيقى، والديكور وحقيقة الشخصيات. الموسيقى فخمة، واللغة لينة وعنيفة، وخشنة لدرجة أنها كانت بلا شك إحدى الذرائع التي دفع بها لمنع روايات الكاتبة ممدوح في كثير من البلدان. فكرت في أنيس نين Anaïs Nin. أن تجعل هذه الكاتبة هذا الذكوري وعلاقته بين عضوه التناسلي ودماغه في عمل روائي يفسر بشكل رائع ينابيع الرغبة الذكورية (ولكن الأنثوية أيضا) والسلطة الأبوية فإن لهذا الأمر تأثيراً مدمراً للغاية.

سمرمد مثل العديد من الشخصيات هو عضو سابق في الحزب الشيوعي العراقي، وقد تدربت قياداته بعد الحرب العالمية الثانية في جمهورية ألمانيا الديمقراطية. شارك الحزب الشيوعي العراقي، الناشئ في ظل الستالينية، في الإطاحة بالنظام الملكي الذي أقامه البريطانيون، ثم في الحكومة باتفاق مع حزب البعث. تطبق قياداته التوجيهات المعطاة لهم في برلين الشرقية وموسكو.

هذا لن يمنع بأي حال القمع الشديد بعد تحول الأوضاع. سيتفاهم هذا القمع في عهد صدام حسين الذي نسق مع وكالة المخابرات المركزية، التي كانت نشطة دائماً طوال هذه الفترة. نفي المسؤولون الشيوعيون إلى بيروت عام ١٩٧٨، ثم تحول المنفى إلى هزيمة. ثم بدأت الانقلابات والحرب الإمبريالية، وكملت الصورة مع سقوط جدار برلين، في هذا الجو تعيش شخصيات روايات علياء ممدوح، سواء في العراق أو في المنفى:

"من ناحية أخرى، حيث لا أتبعك على الإطلاق عندما تقول إنك أدت ظهورك لبلدك وأنتك تنوي أن تنشر، هنا في لندن،

مقولة أن بغداد ستصبح ساحة مرآب للسيارات. نحن نعلم، على وجه اليقين، أن الغرب والشرق قد دمروا بلدك، وأنت تعلن لي بصوت مليء بالمرارة، على ما أعتقد، أن الدولة نفسها هي التي تدفع نحو الدمار، فهل هذا صحيح؟» (مثل الرغبة، ص ٩١-٩٢).

عاش سمرمد مثل صديقه يوسف تحت وطأة العنف والجنس والاعتصاب والدم، في عالم مدمر حيث كانوا يناقشون وهم شبان مثاليون من النخبة الاجتماعية، ترجمة "البيان الشيوعي" إلى اللغة العربية - بعد ادخال تعديلات عليه من قبل موسكو؟



عراقيون في موقع الهجوم الانتحاري الدمو في بغداد، ٣ يوليو، ٢٠١٦. "نحن نعلم يقيناً أن الغرب والشرق دمروا بلدكم..."

- وفي الوقت نفسه يستنشقون الرائحة العطرة التي تركتها بنت المنزل.

علياء ممدوح

مثل الرغبة التي لا تريد أن تموت

إصدارات "Actes Sud" - مجموعة سندباد - كانون الثاني ٢٠٢٢

(ترجم من العربية فيليب فينيوكس)

<https://www.bibliosurf.com/Comme-un-desir-qui-ne-veut-pas-mourir.html?test=73767#73767>

ماذا تبقى؟ ألم يبق الا هلوسات لأشخاص عاجزين في العيادة الباريسية؟

شكسبير ليس ببعيد ولا لويس كارول: يبدأ سرمد ويوسف في التلاشي مثل ابتسامة قط تشيستّر Chester وقضيب سرمد. يستحضر يوسف سقراط ... يبدو أن كل شيء يختفي، ولكن بعد قصيدة باللغة العربية وفي بغداد حتى تتمكن من الاستمرار في الأمل.

ميشيل غوديشو Michel Godicheau



تأسيس الرابطة الدولية للمفكر الحر (مبادرة من لجنة الاتصال الدولية للملحدين والمفكرين الأحرار)

كان ١٥٠ مفكراً حراً وملحداً من ١٨ دولة حاضرين في أوسلو في ١٠ أغسطس ٢٠١١، من ألمانيا، إنجلترا، الأرجنتين، أستراليا، بلجيكا، كندا، تشيلي، إسبانيا، فنلندا، فرنسا، الهند، إيطاليا، لبنان، النرويج، بولندا، روسيا، سويسرا، الولايات المتحدة الأمريكية. لقد استعدنا في الذاكرة المؤتمرات التأسيسية للفكر العالمي الحر، المنعقدة منذ عام ١٨٨٠ (بروكسل) ولا سيما مؤتمر المفكرين الأحرار في روما (١٩٠٤) الذي افتتح الحملة من أجل فصل الكنائس عن الدول في العديد من البلدان، من أجل تعزيز ومواصلة هذه المعركة التي رأيناها مفيدة وضرورية لإعادة بناء هذه المنظمة الدولية. يتم ذلك بالاشتراك مع الاتحاد الدولي للفكر الإنساني والأخلاقي IHEU ، مع الحفاظ على استقلاليتنا ولن نكون أبداً على تنافس معه.

تم انتخاب مجلس دولي، بالإضافة إلى ٦ متحدثين رسميين: كريستيان إيشين (فرنسا)، ديفيد راند (كندا)، ألبرت ريبا (إسبانيا)، ديفيد سيلبرمان (الولايات المتحدة الأمريكية)، أنطونيو فيرجارا (تشيلي)، كيث بورتويس وود (المملكة المتحدة). كما تقرر إنشاء موقع إلكتروني، وتقرر المضي بثلاث حملات دولية:

- من أجل فصل المؤسسات الدينية عن الدول في كل البلاد وفي كل القارات.
- إنشاء لجنة تحقيق دولية في التمويل العام للمؤسسات الدينية.
- الكشف عن الجرائم المرتكبة على يد الكهنة واستنكارها.

ندعو جميع الملحدين والمفكرين الأحرار، وكذلك منظماتهم للانضمام إلى الجمعية الدولية للفكر الحر، لقيادة النضال المشترك من أجل حرية الضمير والفصل بين المؤسسات الدينية والدول.

